وسائل المحافظة على صلاة الفجر

التوحيد

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

العدد ٦١٧ السنة الثانية والخمسون - جمادى الأولى ١٤٤٤ هـ

الثمن ١٠ جنيهات

الإسلام
دين السلام العالمي

السُّنَّة
السُّنَّة

السنة النبوية
ومكانتها في التشريع

- المرأة راعية في بيت زوجها
- لا تيأسوا من رحمة الله
- الغنى غنى القلب والفقر فقر القلب

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

رئيس مجلس الإدارة
أ. د. عبد الله شاكر الجنيدي

نائب رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام لمجلة التوحيد
د. عبد العظيم بدوي
أ. د. مرزوق محمد مرزوق

مستشار التحرير
جمال سعد حاتم

رئيس اللجنة العلمية
د. جمال عبد الرحمن

اللجنة العلمية
معاوية محمد هيكل
د. محمد عبد العزيز السيد
د. عاطف التاجوري

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٢٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/ ١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢.
٢- في الخارج ٨٠ دولاراً أو ٤٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما

مطابع الأهرام التجارية

السلام عليكم

أكرم الناس

لما انتقلت الخلافة من بني أمية إلى بني العباس اختفى رجال من بني أمية منهم إبراهيم بن سليمان. ولم يزل مختفياً حتى أعطاه الخليفة العباسي أماناً. وأدناه منه لأدبه وعلمه. وفي ذات يوم قال له الخليفة: يا إبراهيم، قد لبست زماناً مختفياً منا، فحدِّثني بأعجب شيء كان في اختفائك. فقال له ابراهيم: خرجت إلى الكوفه متنكراً فلقيت رجلاً حسن الهيئة وهو راكب فرساً ومعه بعض أصحابه، فلما رآني مرتاباً قال لي: ألك حاجة؟ قلت: غريب خائف من القتل، فقال لي: ادخل داري، وأكرم ضيافتي زمناً طويلاً، فما سألني مَن أنا ولا ما حاجتي، وكان كل يوم يخرج صباحاً ويعود مساءاً كالمتأسف على شيء فاته، فقلت له: كأنك تطلب شيئاً؟ فقال: نعم أطلب إبراهيم بن سليمان، قتَلَ أبي، وقد بلغني أنه متخفٍ، وأنا أبحث عنه، قال إبراهيم: فضاقت بي الدنيا وقلت في نفسي: قادتني قدماي إلى حتفي، ثم قلت له: هل أدلك على قاتل أبيك؟ قال: أوَ تعرفه؟ قلت: نعم أعرفه، أنا إبراهيم الذي تبحث عنه، فتغير لونه واحمرت عيناه وسكت ساعة ثم قال: أمَّا أبي فسيلقاك يوم القيامة عند حاكم عدل، وأما أنا فلا آمن عليك من نفسي، ولا أريد أن أقتل ضيفي، ثم قام إلى صندوق له وأخرج منه صرة من الدراهم وقال: خذها واستعن بها على اختفائك فإن القوم أيضًا يطلبونك. فهذا أكرم رجل رأيته يا أمير المؤمنين.

التحرير

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٩ مجلداً
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٩ سنة كاملة

فهرس العدد

افتتاحية العدد: د. عبد الله شاكر ٢
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ٥
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق ٨
السنة ومكانتها في التشريع:
الشيخ معاوية محمد هيكل ١٢
وسائل المحافظة على صلاة الفجر:
الشيخ صلاح نجيب الدق ١٧
فضائل أهل بدر: د. سيد عبد العال ٢١
خدمة المرأة لزوجها: د. محمد عبد العزيز ٢٤
الأخوة الصادقة: الشيخ عبده أحمد الأقرع ٢٨
الإسلام دين السلام د. عبد الوارث عثمان ٣٢
واحة التوحيد : علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية: د. متولي البراجيلي ٣٨
مدخل إلى علم التفسير: د. محمد عاطف التاجوري ٤١
باب الفقه: د. حمدي طه ٤٤
فقه المرأة المسلمة: د. عزة محمد رشاد ٤٧
مصر المحروسة: د. جمال عبد الرحمن ٥١
تحذير الداعية من القصص الواهية:
الشيخ علي حشيش ٥٣
نماذج تحتذى من أعلام وأئمة السلف:
د. عبد العليم الدسوقي ٥٧
منبر الحرمين: د. فصيل بن جميل غزاوي ٦١
شروط لا إله إلا الله: الشيخ حسين الجمل ٦٤
الغنى غنى القلب: الشيخ صلاح عبد الخالق ٦٦
وقفة حساب: الشيخ محمد صفوت نور الدين ٦٨
مقالات في معاني القراءات: د. أسامة صابر ٧٠

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

مدير التحرير
إبراهيم رفعت أبو موته

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

إدارة التحرير ||
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧. فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني ||
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

ثمن النسخة

مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريال ، الإمارات ١٢ دراهم ، الكويت ١ دينار ، المغرب ٢ دولار أمريكي ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريال ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولار، أوروبا ٤ يورو

١٠٠٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

الواجب على أمة الإسلام نحو النبي صلى الله عليه وسلم

الرئيس العام

د. عبد الله شاكر

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين. وبعدُ، فقد تكلمت في اللقاء الماضي عن بعض ما يجب نحو النبي صلى الله عليه وسلم، وأختم هذا الموضوع في هذا اللقاء فأقول وبالله التوفيق:

رابعًا: وجوب محبته صلى الله عليه وسلم:

إن محبة النبي صلى الله عليه وسلم أصل عظيم من أصول الإيمان، وفي حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» (البخاري ١٤، مسلم ٧٠).

وهذه المحبة تابعة لمحبة الله تعالى؛ إذ لا يوجد في الوجود من يحب ذاته من كل وجه سوى الله تعالى. قال ابن القيم رحمه الله: (وكل محبة وتعظيم للبشر فإنما تجوز تبعًا لمحبة الله وتعظيمه، كمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه، فإنها من تمام محبة رسله وتعظيمه سبحانه، فإن أمته يحبونه لحب الله له). (جلاء الأفهام، ج١، ص١٨٧).

وقد أوجب الله محبته ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم وتقديمها على الأهل والمال، فقال: «قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ» (التوبة: ٢٤).

قال القاضي عياض رحمه الله: (فكفى بهذا حضًا وتنبيهًا ودلالة وحجة على إلزام محبته صلى الله عليه وسلم ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم، إذ قرع الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وتوعدهم بقوله تعالى: «فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ»، ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله). (الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ج٢/ص١٧).

وقد ضرب صحابة النبي صلى الله عليه وسلم أروع النماذج في صدق حبهم للنبي صلى الله عليه وسلم، وكان الواحد منهم يضع ماله ونفسه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم حبًا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وطمعًا في نيل ثواب الله ومرضاته، ومن ذلك ما رواه البخاري عن عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك»، فقال له عمر، فإنه الآن، والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الآن يا عمر». (البخاري: ٦٦٣٢).

قال الخطابي رحمه الله: (حب الإنسان نفسه طبع، وحب غيره اختياره، وإنما أراد النبي صلى الله عليه وسلم حب الاختيار، إذ لا سبيل إلى قلب الطباع وتغييرها عما جبلت عليه). وقال ابن حجر رحمه الله معقبًا على كلام الخطابي: (فعلى هذا فجواب عمر أولاً كان بحسب الطبع، ثم تأمل فعرف بالاستدلال أن النبي صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والآخرة، فأخبر بما اقتضاه الاختيار، ولذلك حصل الجواب بقوله: «الآن يا عمر»، أي: الآن عرفت فنطقت بما يجب. (فتح الباري، ج١١/٥٢٨).

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو في حال الاحتضار: «وما كان أحد أحب إليّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أجلّ عن عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه، صلوات الله وسلامه عليه». (مسلم ١٩٢).

وقد أذهل حب الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم المشركين وتحدثوا عنه، فهذا عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه يقول وهو على الشرك: (فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون إليه النظر تعظيمًا له). (البخاري: ٢٧٣٢).

وذهب ابن رجب رحمه الله إلى أن محبة النبي صلى الله عليه وسلم على درجتين، فقال:

الدرجة الأولى: فرض، وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله وتلقيه بالمحبة والرضا والتعظيم والتسليم، وعدم طلب الهدى من غير طريقه، ثم حسن الاتباع له فيما بلغه عن ربه، من تصديقه في كل ما أخبر به، وطاعته فيما أمر به من الواجبات، والانتهاء عما نهى عنه من المحرمات ونصرة دينه والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة، فهذا القدر لا بد منه، ولا يتم الإيمان بدونه.

والدرجة الثانية: فضل، وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به وتحقق الاقتداء بسنته وأخلاقه وآدابه، ونوافله، وتطوعاته، وأكله وشربه ولباسه، وحسن معاشرته لأزواجه وغير ذلك من آدابه الكاملة وأخلاقه الظاهرة صلى الله عليه وسلم. (استنشاق نسيم الأنس ص٣٤، ٣٥).

خامسًا: وجوب الصلاة والسلام عليه:

أمر الله أهل الإيمان بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا». (الأحزاب: ٥٦).

فقد أخبر الله سبحانه وتعالى في أول هذه الآية أنه وملائكته يصلون على النبي، ثم أمرنا بعد ذلك بالصلاة والسلام عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالَمين العلوي والسفلي، وهذا التشريف الذي شرف الله تعالى به النبي صلى الله عليه وسلم، أتم وأجمع من تشريف آدم عليه السلام، بأمر الملائكة له بالسجود؛ لأن الله تعالى أخبر عن نفسه بالصلاة عليه، ثم أخبر عن الملائكة، وتشريف يصدر عن الله تعالى أبلغ من تشريف يختص به الملائكة من غير أن يكون الله تعالى معهم، وقد ذكر البخاري عن أبي العالية أن صلاة الله على نبيه صلى الله عليه وسلم هي: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يصلون: يبركون. (انظر: فتح الباري، ج٨/٥٣٢).

كما وردت أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أمر فيها بالصلاة عليه، وبين كيفية هذه الصلاة، ومن ذلك ما رواه البخاري عن كعب بن عجرة رضي الله عنه، قال: قيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك

على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى إبراهيم، إنك حميد مجيد». (البخاري: ٤٧٩٧).

وعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: (أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعد رضي الله عنه: أمرنا الله تعالى أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك؟ قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، والسلام كما علمتم»). (مسلم ٤٠٦).

ومعنى: السلام كما علمتم: يعني في قولنا في التشهد: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، وقد اشتملت الأحاديث النبوية على جملة كثيرة من صيغ الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى المسلم أن يتعلم شيئًا من الصحيح منها، ومنها ما ذكرته آنفًا، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لها فضل عظيم ويؤجر عليه العبد، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرًا»، ومن صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عقب الأذان وسأل الله له الشفاعة وجبت له، كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة». (مسلم (٣٨٤)).

وليحذر المسلم من التقصير والتفريط في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم، خاصة عند ذكر اسمه، لما ورد من ذلك من التحذير الشديد، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليك». قال الترمذي: «ويروى عن بعض أهل العلم أنه قال: إذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس أجزأ عنه ما كان في ذلك المجلس». (صحيح سنن الترمذي: ج٣/١٧٧).

ومعنى: رغم أنف رجل: أي: لصق أنفه بالتراب؛ كناية عن حصول الذل، وهذا هو الأصل في معنى الكلمة. (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢/٢٣٨).

والفاء في قوله: «فلم يصل عليّ»: قيل بأنها استبعادية، والمعنى: بعيد عن العاقل أن يتمكن من إجراء كلمات معدودة على لسانه فيفوز بها فلم يغتنمه، فحقيق أن يذله الله، وقيل: إنها للتعقيب، فتفيد ذم التراخي عن الصلاة عليه عند ذكره صلى الله عليه وسلم. (تحفة الأحوذي، ج٩/٥٣٠).

وعليه فإني أذكر نفسي وعموم المؤمنين بكثرة الصلاة على النبي الأمين صلى الله عليه وسلم، لننال الخير العميم والأجر الوفير، والفوائد الجمة العميمة.

سادسًا: تحريم إيذائه صلى الله عليه وسلم:

حرم الله تبارك وتعالى إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم ومن ذلك نكاح أزواجه من بعده، وهذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم تمييزًا لشرفه وتنبيهًا على مرتبته، قال تعالى: «وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا» (الأحزاب: ٥٣)، ومعنى الآية: إنه لا يصح ولا يستقيم أن تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بأي شيء كائنًا ما كان، ومن جملة ذلك زواج زوجاته من بعده، وهذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم، كما لعن الله في كتابه من أذى الله ورسوله فقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا» (الأحزاب: ٥٧)، وأقول بعد ذلك للطاعنين: كفوا أذاكم عن سيد الأولين والآخرين وإلا فلكم من الله العذاب المهين.

والحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ الرُّومِ

سُورَةُ الرُّومِ
سُورَةُ الرُّومِ

قال تعالى: «وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ»

(سورة الروم: ٢٧ - ٢٩).

إعداد **د. عبدالعظيم بدوي**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَنواعُ الأدلَّة الدَّالَّة على إمكان البَعث:

وَقَدْ تَضَمَّنَتْ هَذه الأَيَاتُ أَرْبَعَةَ أَنْوَاعٍ مِنَ الأَدِلَّة وَالبَرَاهين، الَّتي تَدُلُّ على أَنَّ الله تَعَالى يُحْيي المَوْتى، وَيَبْعَثُ مَنْ في القُبُور:

الأَوَّل: أَنَّ الله تَعَالى خلق الإنْسَانَ أَوَّلَ مَرَّة، فَلَنْ يَعْجز عَنْ إعادته.

قَالَ تَعَالَى: «وَمِنْ آيَاته أَنْ خَلَقَكُم مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ»، وَقَالَ تَعَالى: «وَهُوَ الَّذي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْه وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى في السَّمَاوَات وَالأَرْض وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ». وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُ هذا الدَّليل وَالاسْتدْلال به عَلى مُنْكري البَعْث في القُرْآن الكَريم كثيرًا:

قَالَ تَعَالَى: «وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا» (مريم ٦٦-٦٧)، وَقَالَ تَعَالى: «أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ» (القيامة ٣٦- ٤٠).

النَّوعُ الثَّاني: أَنَّ الله تَعَالى خَلَق السَّمَوات والأَرْض، وَهُمَا أَكْبَرُ من خَلْق النَّاس، فَلَنْ يَعْجز عَنْ إعَادَة النَّاس بَعْدَ مَوْتهِم. قَالَ تَعَالى: «وَمِنْ آيَاتَه خَلْقُ السَّمَاوَات والأَرْض»، وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُ هَذا الدَّليل والاسْتدْلال به عَلى مُنْكري البَعْث في القُرْآن الكريم كثيرًا:

قَالَ تَعَالى: «أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ» (يس ٨١)، وَقَال تَعَالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ

يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » (الأحقاف ٣٣)، وقال تعالى لمنكري البعث: «أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا » (النازعات ٢٧)؟! والجواب معلوم، وهم مقرون به، فإذا كنتم مقرين بأن السماء أشد منكم، فكيف تستبعدون على الله الذي خلقها أن يعيدكم بعد موتكم؟!.

النوع الثالث: أنكم تنامون بالليل، وتستيقظون بالنهار، «ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ٢٣»، فكما تنامون تموتون، وكما تستيقظون من النوم تبعثون من الموت، ولذلك سمى الله تعالى النوم موتا، واليقظة بعثا، فقال تعالى: «وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ » (الأنعام ٦٠)، وقال تعالى: « اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (الزمر ٤٢).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه قال: (باسمك أموت وأحيا). وإذا قام قال: (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور) (صحيح البخاري ٦٣١٢).

النوع الرابع: أن الله يحيي الأرض بعد موتها، وكذلك تخرجون، قال تعالى: «ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ٢٤».

وقد تكرر ذكر هذا الدليل والاستدلال به على منكري البعث في القرآن الكريم كثيرا: قال تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٣٩» (فصلت)، وقال تعالى: «وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ » (الحج ٦-٧)، وقال تعالى: « اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » (الروم ٤٨-٥٠).

. فمن كذب بالساعة بعد ذلك فالنار أولى به، كما قال تعالى: «بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا » (الفرقان ١١-١٣).

وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون:

لما بين الإعادة والقدرة عليها بالمثل بعد الدليل، بين الوحدانية أيضا بالمثل بعد الدليل. قال ابن عباس رضي الله عنه وغيره: بين تعالى أمر الأصنام وفساد معتقد من يشركها بالله، بضربه هذا المثل، ومعناه: أنكم أيها الناس، إذا كان لكم عبيد تملكونهم، فإنكم لا تشركونهم في أموالكم ومهم أموركم، ولا في شيء على جهة استواء المنزلة، وليس من شأنكم أن تخافوهم في أن يرثوا أموالكم، أو يقاسمونكم إياها في حياتكم، كما يفعل بعضكم ببعض، فإذا كان هذا فيكم، فكيف تقولون: إن من عبيده وملكه شركاء في سلطانه وألوهيته، وتثبتون في جانبه ما لا يليق عندكم بجوانبكم؟ وجاء هذا المعنى في معرض السؤال والتقرير. (البحر المحيط في التفسير: ٧/ ١٧٠).

قال الرازي عفا الله عنه: وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: ينبغي أن يكون بين المثل والممثل به مشابهة ما، ثم إن كان بينهما مخالفة فقد يكون مؤكدا لمعنى المثل، وقد يكون موهنا له. وهاهنا وجه المشابهة معلوم، وأما المخالفة فموجودة أيضا، وهي مؤكدة، وذلك من وجوه:

أحدها: قوله: «من أنفسكم» لا يحتاج إلى حل وترحال

واعمال الجمال.

وثانيها: قوله: «من ما ملكت أيمانكم» يعني: عبدكم لكم عليهم ملك اليد، وهو طارئ، قابل للنقل والزوال، أما النقل فبالبيع وغيره، والزوال بالعتق، ومملوك الله لا خروج له من ملك الله بوجه من الوجوه، فإذا لم يجز أن يكون مملوك يمينكم شريكا لكم مع أنه يجوز أن يصير مثلكم من جميع الوجوه، بل هو في الحال مثلكم في الآدمية، حتى أنكم ليس لكم تصرف في روحه وآدميته بقتل وقطع، وليس لكم منعهم من العبادة وقضاء الحاجة، فكيف يجوز أن يكون مملوك الله الذي هو مملوكه من جميع الوجوه شريكا له.

وثالثها: قوله: «من شركاء في ما رزقناكم» يعني الذي لكم هو في الحقيقة ليس لكم، بل هو من الله ومن رزقه، والذي من الله فهو في الحقيقة له، فإذا لم يجز أن يكون لكم شريك في مالكم من حيث الاسم، فكيف يجوز أن يكون له شريك فيما له من حيث الحقيقة.

وقوله: «فأنتم فيه سواء» أي هل أنتم ومماليككم في شيء مما تملكون سواء؟ ليس كذلك. فلا يكون لله شريك في شيء مما يملكه، لكن كل شيء فهو لله. فما تدعون إلهيته لا يملك شيئا أصلا، ولا مثقال ذرة من خردل، فلا يعبد لعظمته، ولا لمنفعة تصل إليكم منه. وأما قولكم: هؤلاء شفعاؤنا، فليس كذلك، لأن المملوك هل له عندكم حرمة كحرمة الأحرار؟ وإذا لم يكن للمملوك مع مساواته إياكم في الحقيقة والصفة عندكم حرمة، فكيف يكون حال المماليك الذين لا مساواة بينهم وبين المالك بوجه من الوجوه، وإلى هذا أشار بقوله: «تخافونهم كخيفتكم أنفسكم».

المسألة الثانية: بهذا نفى جميع وجوه حسن العبادة عن الغير، لأن الأغيار إذا لم يصلحوا للشركة فليس لهم ملك ولا ملك، فلا عظمة لهم حتى يعبدوا لعظمتهم، ولا يرتجى منهم منفعة لعدم ملكهم حتى يعبدوا لنفع، وليس لهم قوة وقدرة لأنهم عبيد، والعبد المملوك لا يقدر على شيء، فلا تخافونهم كما تخافون أنفسكم، فكيف تخافونهم خوفا أكثر من خوفكم بعضا من بعض حتى تعبدوهم للخوف.

وهو مثل واضح بسيط حاسم، لا مجال للجدل فيه، وهو يرتكن إلى المنطق البسيط وإلى العقل المستقيم، ومن ثم قال تعالى: «كذلك نفصل الآيات» أي نبينها بالدلائل والبراهين القطعية، والأمثلة والمحاكيات الإقناعية، «لقوم يعقلون ٢٨» يعني لا يخفى الأمر بعد ذلك إلا على من لا يكون له عقل (التفسير الكبير (٢٥/١١٩و١٢٠).

وإذا علم من هذا المثال أن من اتخذ من دون الله شريكا يعبده، ويتوكل عليه في أموره، فإنه ليس معه من الحق شيء، فما الذي أوجب له الإقدام على أمر باطل، توضح له بطلانه، وظهر برهانه؟ لقد أوجب لهم ذلك اتباع الهوى، فلهذا قال تعالى: «بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم»، هويت أنفسهم الناقصة -التي ظهر من نقصانها ما تعلق به هواها- أمرا يجزم العقل بفساده، والفطر برده، بغير علم دلهم عليه، ولا برهان قادهم إليه، فوكلهم الله إلى أنفسهم، وختم على قلوبهم، فلا يهتدون سبيلا، ولذلك قال تعالى: «فمن يهدي من أضل الله»؟ أي: لا تعجبوا من عدم هدايتهم، فإن الله تعالى أضلهم بظلمهم، ولا طريق لهداية من أضل الله، لأنه ليس أحد معارضا لله، أو منازعا له في ملكه، «وما لهم من ناصرين ٢٩» ينصرونهم حين تحق عليهم كلمة العذاب، وتنقطع بهم الوصل والأسباب. (تيسير الكريم الرحمن: ٦/١٢٥).

وهذه الآية كقوله تعالى: «أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ٢٣» (الجاثية).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

زيادة الإيمان بمعجزة القرآن والتذكير بشهر رمضان

إعداد أ.د. مرزوق محمد مرزوق

نائب المشرف العام

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على خير خلقه وآله وصحبه ومن تبعه، وبعد:

فلكم وددت تأسيًا بأسيادنا العاملين من أسلافنا الصالحين أن نستعد للشهر الكريم من قبله بفترة من الزمن تؤتي حين يحين الشهر ثمارها، وتقوم من تقويم المعوج بدورها، وننال بذلك بركة النية؛ فنعيش مع أعمال الشهر في معية الله، ورجوت الله ألا يردني عن ذلك أشياخنا فتوسطت في الحديث بما يصلح لرمضان وغيره من أعمال الإنسان؛ فكان حديثنا اليوم عن القرآن.

الحديث

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: "مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَى اللَّه إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تابعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

تخريج الحديث:

أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل، حديث (٤٩٨١)، وأخرجه مسلم حديث (١٥٢).

شرح ألفاظ الحديث:

قوله صلى الله عليه وسلم: (إِلاَّ قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ): الآيات العلامات والمقصود ما يأتي به الأنبياء من خوارق العادات.

قوله (مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ): أي أن كل نبي أعطي آية أو أكثر، تجعل من يشاهدها يؤمن بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم من البشر.

قوله: (إنما كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَى اللَّه إِلَيَّ): قال النووي رحمه الله: "اختلف فيه على أقوال:

أحدها: أن كل نبي أعطي من المعجزات ما كان مثله لمن كان قبله من الأنبياء، فآمن به البشر، وأما معجزتي العظيمة الظاهرة فهي القرآن الذي لم يُعط أحد مثله، فلهذا قال

أنا أكثرهم تابعًا.

والثاني: معناه أن معجزات الأنبياء عليهم السلام انقرضت بانقراض أعصارهم، ولم يشاهدها إلا من حضرها بحضرتهم، ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم القرآن المستمر إلى يوم القيامة، مع خرق العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات، وعجز الجن والإنس عن أن يأتوا بسورة من مثله، مجتمعين أو متفرقين، في جميع الأعصار مع اعتنائهم بمعارضته فلم يقدروا وهم أفصح القرون، مع غير ذلك من وجوه إعجازه المعروفة" (شرح النووي لصحيح مسلم ٢/ ٣٦٤).

والثالث: قال ابن حجر في الفتح: (وقيل المعنى: أن المعجزات الماضية كانت حسية تُشاهد بالأبصار كناقة صالح، وعصا موسى، ومعجزة القرآن، تُشاهد بالبصيرة فيكون من اتبعه لأجلها أكثر؛ لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده، والذي يشاهد بعين العقل باقٍ يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمراً" (الفتح: ٩/ ٧).

> **"التحدي بالقرآن من أعظم دلائل الإيمان."**

قلت: وكله محتمل، ويمكن الجمع بينه ولا تعارض؛ فمعجزة النبي صلى الله عليه وسلم أكبر وأبقى من معجزات الأنبياء، فهي معنوية فكرية باقية في جميع الأعصار بخلاف معجزات الأنبياء، والحمد لله.

قوله: (أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)؛ لأن آيته صلى الله عليه وسلم القرآن باقية مستمرة فسيستمر تتابع الأتباع وكثرتهم إلى قيام الساعة. (وينظر: كتاب إبهاج المسلم بشرح صحيح مسلم (كتاب الإيمان) شرحه للحديث).

مما يستفاد من الحديث:

معجزة القرآن هي المعجزة الكبرى وهو مأخوذة من قوله صلى الله عليه وسلم: "وإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ" مع أن النبي صلى الله عليه وسلم أوتي من الآيات الكثير، ومن المعجزات الوفير كما هو مدون في مظانه من كتب السِّير ودلائل النبوة وآيات الإيمان؛ فيرجى الرجوع تفضلاً.

آية القرآن أكبر من آيات الأنبياء؛ إذ هي آية تُشاهد بالبصيرة، وآيات الأنبياء حسية تُشاهد بالأبصار كناقة صالح وعصى موسى، وفرق بين ما يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهدته، وما يُشاهد بعين العقل فهو باق، يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمراً، ولذا كان نبينا صلى الله عليه وسلم أكثر الأنبياء تابعاً (وينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٠/ ٣٣٠).

التحدي بالقرآن من أعظم دلائل الإيمان وبيان ذلك أن القرآن الكريم كلام الله تبارك وتعالى غير مخلوق أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم قرآنًا يُتلى ومعجزة عظمى، وهو أعظم آية من آيات الإعجاز ودليل من دلائل النبوة، ولقد أبقى الله تعالى القرآن الكريم آية محفوظة خالدة إلى قيام الساعة فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:٩)، حفظه تبارك وتعالى، وهذا إعجاز إذ حُرِّفت الكتب قبله.

وتحدّى بها الثقلين على مر العصور إلى

قيام الساعة وذلك حين تحدى به النبي صلى الله عليه وسلم الفصحاء والبلغاء من العرب وهي لغتهم بل وتحدى به تحديًا مستمرًا إلى يوم الدين، يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله (في تفسيره ٢/٤٥): "محمد صلى الله عليه وسلم بعثه الله في زمن الفصحاء والبلغاء ونحارير الشعراء، فأتاهم بكتاب من الله، عز وجل، لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبدًا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، وما ذاك إلا لأن كلام الرب لا يشبهه كلام الخلق أبدًا" انتهى.

> "فالقرآن مُعجزٌ في النظم والتأليف والإخبار عن الغيوب وهو كلامٌ في أعلى طبقات البلاغة لا يُشبِهُ كلامَ الخلق."

إنه لم يسمع أحد أن تحديًا يحدث للخلق أجمعين كما تحداهم كلام رب العالمين ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء ٨٨)، وكل ذلك من دلائل الإعجاز، ثم ما تجرأ أحد عاقل أن يقبل التحدي فضلاً عن أن ينجح فيه، وهو إعجاز أيضًا.

يقول الامام البغوي رحمه الله: "إن الآية نَزلت حينَ قالَ الكُفّارُ: لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هَذا فَكَذَّبَهُمُ اللَّهُ تَعالى، فَالقُرْآنُ مُعْجِزٌ في النَّظْمِ وَالتَّأْليفِ وَالإِخْبارِ عَنِ الغُيُوبِ وَهُوَ كَلامٌ في أعْلى طَبَقاتِ البَلاغَةِ لا يُشْبِهُ كَلامَ الخَلْقِ لِأنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَلَوْ كانَ مَخْلُوقًا لَأتَوْا بِمِثْلِهِ)) (تفسير البغوي ٥/١٢٧).

وهذا دليل قاطع، وبرهان ساطع، على صحة ما جاء به الرسول وصدقه.

تحداهم أن يأتوا بمثله فلما عجزوا عن الإتيان بمثله: تحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله، كما في قوله سبحانه: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (سورة هود:١٣)، بل قال سبحانه: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (سورة يونس:٣٨).

فلما عجزوا تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة كما في قوله: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة:٢٣-٢٤).

هذا ولم يحدد لهم شرط في طول السورة ، فلو أتوا بسورة مثل النصر أو العصر أو الإخلاص لقبلت منهم في تحديهم، لكنهم ما فعلوا عجزًا آخر.

قال ابن كثير رحمه الله بعد أن ذكر أن المراد بقوله: ﴿ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ القرآن ورجحه ثم قال: "لأن التَّحَدِّيَ عامٌّ لَهُمْ كُلِّهِمْ، مَعَ أنَّهُمْ أفْصَحُ الأُمَمِ، وقَدْ تَحَدّاهُمْ بِهَذا في مَكَّةَ والمَدِينَةِ مَرّاتٍ عَدِيدَةً، مَعَ شِدَّةِ عَداوَتِهِمْ لَهُ وبُغْضِهِمْ لِدِينِهِ، ومَعَ هَذا عَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ؛ ولِهَذا قالَ تَعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ولَنْ تَفْعَلُوا ﴾ "ولَنْ": لِنَفْيِ التَّأْبِيدِ أيْ: ولَنْ تَفْعَلُوا ذَلِكَ أبَدًا. وهَذِهِ -أيْضًا- مُعْجِزَةٌ أُخْرى، وهو أنَّهُ أخْبَرَ أنَّ هَذا القُرْآنَ لا يُعارَضُ بِمِثْلِهِ أبَدًا وكَذَلِكَ وقَعَ الأمْرُ، لَمْ يُعارَضْ مِن لَدُنْهُ إلى زَمانِنا هَذا ولا يُمْكِنُ، وأنّى يَتَأتّى ذَلِكَ لِأحَدٍ، والقُرْآنُ كَلامُ اللَّهِ خالِقِ كُلِّ شَيْءٍ؟ وكَيْفَ يُشْبِهُ كَلامُ الخالِقِ كَلامَ المَخْلُوقِينَ؟! ." ينظر تفسير ابن كثير (١/ ١٩٩-٢٠٠).

الحديث دليل على إثبات الآيات للأنبياء،

وهذا من رحمة الله تعالى وفضله على الأمم؛ حيث جعل مع كل نبي آية أو أكثر، وهي الفارقة بين النبي حقًّا وبين من يدَّعي النبوة؛ إذ لا نبي إلا وقد أوتي آية أو أكثر كما هو ظاهر الحديث، والتعبير بلفظ الآيات أولى من التعبير بالمعجزات. (كما قاله شيخنا ابن عثيمين رحمه الله على مسلم ١/ ٤٨٤). انتهى، وهو اللفظ الوارد في الكتاب والسنة.

> "ليس المراد أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤت بآية إلا القرآن، وإنما ذكرت هنا لأنها هي الآية العظمى والأعم والأبقى."

وليس المراد أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤت بآية إلا القرآن، وإنما ذكرت هنا لأنها هي الآية العظمى والأعم والأبقى.

قال ابن حجر رحمه الله: "وليس المراد حصر معجزاته فيهن ولا أنه لم يؤتَ من المعجزات ما أوتي من تقدمه، بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره" (فتح الباري ٩/ ٦).

الحديث دليل على أن الأنبياء عليهم السلام يتفاوتون في عدد أتباعهم، ويدل على ذلك أيضًا حديث ابن عباس رضي الله عنهم في الصحيحين قال النبي صلى الله عليه وسلم: "عرضت عليَّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي: هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك" الحديث.

وفيه البُشرى أن نبينا صلى الله عليه وسلم أكثر الأنبياء تابعاً يوم القيامة، ويدل على ذلك أيضاً حديث ابن عباس السابق، وما جاء في الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة" (وينظر: حادي الأرواح ص ٨٥).

الحديث دليل على أن القرآن سبب لكثرة الأتباع، لعموم نفعه، وتأثيره على تاليه وسامعه لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

قال ابن حجر رحمه الله: "رتب هذا الكلام على ما تقدم من معجزة القرآن المستمرة لكثرة فائدته، وعموم نفعه لاشتماله على الدعوة والإخبار بما سيكون فعمَّ نفعه من حضر ومن غاب، ومن وُجد ومن سيوجد، فحسُنَ ترتيب الرجوى المذكور على ذلك، وهذه الرجوى قد تحققت فإنه صلى الله عليه وسلم أكثر الأنبياء تبعًا" (فتح الباري ٩/٧).

والحديث علَم من أعلام النبوة؛ حيث أخبر بكثرة الأتباع رغم قلتهم حينما قال ذلك؛ قال النووي رحمه الله: "(فأرْجُو أنْ أكُونَ أكْثَرَهُمْ تابِعًا) علَم من أعلام النبوة فإنه أخبر صلى الله عليه وسلم بهذا في زمن قلة المسلمين، ثم منَّ الله تعالى وفتح على المسلمين وبارك فيهم حتى انتهى الأمر واتسع الأمر في المسلمين إلى هذه الغاية المعروفة، ولله الحمد" (انظر شرح النووي لصحيح مسلم: ٢/ ٣٦٥).

فاللهم يا من كثَّرت المسلمين من قلة، ونصرتهم من ذلة؛ انصر الحق وأهله وردَّ الباطل وحزبه.

والحمد لله رب العالمين.

السنة النبوية ومكانتها في التشريع

إعداد معاوية محمد هيكل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين. أما بعد:

فمن المعلوم عند جميع أهل العلم أن السنة: هي الأصل الثاني من أصول الإسلام، وأن مكانتها في الإسلام الصدارة بعد كتاب الله تعالى، فهي الأصل المعتمد بعد كتاب الله تعالى بإجماع أهل العلم قاطبة، وهي حجة قائمة مستقلة على جميع الأمة، من جحدها أو أنكرها أو زعم أنه يجوز الإعراض عنها والاكتفاء بالقرآن فقط فقد ضل ضلالاً بعيداً وكفر كفراً أكبر، لأنه بهذا المقال وبهذا الاعتقاد يكون قد كذب الله ورسوله، وأنكر ما أمر الله به ورسوله، وجحد أصلاً عظيماً فرض الله الرجوع إليه والاعتماد عليه والأخذ به، وأنكر إجماع أهل العلم عليه، وكذب به، وجحده، وقد أجمع علماء الإسلام على أن الأصول المجمع عليها ثلاثة:

الأصل الأول: كتاب الله.

والأصل الثاني: سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

والأصل الثالث: إجماع أهل العلم.

وتنازع أهل العلم في أصول أخرى، أهمها: القياس، والجمهور على أنه أصل رابع إذا استوفى شروطه المعتبرة.

إنكار السنة النبوية طعن في الدين ورد لكلام رب العالمين

لا ريب في أن إنكار السنة النبوية من أعظم الضلالات المردية، فمن زعم أنه لا حاجة للمسلمين في السنة المشرفة، وأنه يُكتفى بالقرآن الكريم فهو بهذا القول يرد كلام الله تعالى في كتابه الكريم، حيث أمر في آيات كثيرة بالأخذ بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وبالانتهاء عما نهى عنه، وبطاعته، وقبول حكمه، ومن ذلك:

قال تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) الحشر: من الآية٧.

وقال تعالى: (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ

> كل فريضة فرضها الله تعالى في كتابه : كالحج ، والصلاة ، والزكاة : لولا بيان الرسول ما كنا نعرف كيف نأتيها ، ولا كان يمكننا أداء شيء من العبادات .

وعليكُمْ ما حُمِّلْتُمْ وإنْ تُطيعُوهُ تَهْتَدُوا ومَا عَلَى الرَّسُولِ إلَّا البَلاغُ المُبِينُ) النور/٥٤ .

وقال تعالى : (ومَا أرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إلَّا لِيُطَاعَ بإِذْنِ اللَّه) النساء/من الآية٦٤ .

وقال تعالى : (فَلا ورَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا في أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ ويُسَلِّمُوا تَسْلِيماً) النساء/٦٥ .

قال الزركشي - رحمه الله - :

وقال الشافعي في " الرسالة " - في باب فرض طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم - : قال تعالى : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وكل فريضة فرضها الله تعالى في كتابه : كالحج ، والصلاة ، والزكاة : لولا بيان الرسول ما كنا نعرف كيف نأتيها ، ولا كان يمكننا أداء شيء من العبادات ، وإذا كان الرسول من الشريعة بهذه المنزلة : كانت طاعته على الحقيقة طاعة لله .

" البحر المحيط " (٦ / ٧ ، ٨) .

فمن أنكر حجية السنة وادعى بأن الإسلام هو القرآن وحده فقد أعظم على الله الفرية وقال قولا لا يتفوه به مسلم يعرف دين الله وأحكام شريعته تمام المعرفة ، وهو يصادم الواقع ، فإن أحكام الشريعة إنما ثبت أكثرها بالسنة ، وما في القرآن من أحكام إنما هي مجملة وقواعد كلية في الغالب .

قال ابن القيم – رحمه الله - :

فقد بيّن الله - سبحانه - على لسان رسوله بكلامه وكلام رسوله جميع ما أمره به ، وجميع ما نهى عنه ، وجميع ما أحله ، وجميع ما حرمه ، وجميع ما عفا عنه ، وبهذا يكون دينه كاملا كما قال تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) .

" إعلام الموقعين " (١ / ٢٥٠).

السنة وحيٌ كالقرآن وحجة ملزمة للعباد

وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أن السنّة التي جاء بها هي مثل القرآن في كونها من الله تعالى ، وفي كونها حجة ، وفي كونها ملزمة للعباد ، وحذّر من الاكتفاء بما في القرآن وحده للأخذ به والانتهاء عن نهيه ,

فعَنْ الْمِقْدَام بْن مَعْدي كَرِب عَنْ رَسُول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم أَنَّهُ قَال : (أَلا إنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ ، أَلا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِه يَقُولُ : عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيه مِنْ حَلالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيه مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ أَلا لا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الأَهْلِيّ وَلا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنْ السَّبُعِ) .

رواه أبو داود (٤٦٠٤) ، وصححه الألباني في " صحيح أبي داود .

وهذا الذي فهمه الصحابة رضي الله من دين الله تعالى :

عن عبد الله قال : " لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب فجاءت فقالت : إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت ، فقال : ومالي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هو في كتاب الله ؟ فقالت : لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول ، قال : لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه : أما قرأت : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الحشر/٧ ؟ ، قالت : بلى ، قال

: فإنه قد نهى عنه ، قالت : فإني أرى أهلك يفعلونه ، قال : فاذهبي فانظري ، فذهبت فنظرت فلم تر من حاجتها شيئاً ، فقال : لو كانتْ كذلك ما جامَعتنا . رواه البخاري (٤٦٠٤) ، ومسلم (٢١٢٥) .

وهو الذي فهمه التابعون وأئمة الإسلام من دين الله تعالى ، ولا يعرفون غيره ، أنه لا فرق بين الكتاب والسنَّة في الاستدلال والإلزام ، وأن السنَّة مبينة ومفسرة لما في القرآن .

> فمن أنكر حجية السنة وادعى بأن الإسلام هو القرآن وحده فقد أعظم على الله الفرية وقال قولاً لا يتفوه به مسلم يعرف دين الله وأحكام شريعته تمام المعرفة ، وهو يصادم الواقع .

قال الأوزاعي عن حسَّانَ بن عطيَّة - رحمه الله - قال : (كان جبْريل يَنْزِلُ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم بالسُّنَّة ، كما يَنْزِل عليه بالقُرآن) أورده ابن حجر في (الفتح) ، (١٣/ ٢٩١) .

وقال أيوب السختياني : إذا حدَّثتَ الرجل بالسنة ، فقال : دعنا من هذا ، وأنبئنا عن القرآن ، فاعلم أنه ضال. (مفتاح الجنة للسيوطي ص ٣٥ - ٣٦).

وقال الأوزاعي : قال القاسم بن مخيمرة : ما توفي عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حرام : فهو حرام إلى يوم القيامة ، وما توفي عنه وهو حلال : فهو حلال إلى يوم القيامة .

انظر : "الآداب الشرعية" (٢ / ٣٠٧) .

قال الزركشي - رحمه الله - :

قال الدارمي : يقول : (أوتيت القرآن ، وأوتيت مثله) : من السنن التي لم ينطق بها القرآن بنصه ، وما هي إلا مفسرة لإرادة الله به ، كتحريم لحم الحمار الأهلي ، وكل ذي ناب من السباع ، وليسا بمنصوصين في الكتاب .

بيان السنّة للقرآن الكريم :

لقد ذكر أهل العلم أوجهاً لبيان السنة للقرآن ، ومنها : أنها تأتي موافقة لما في القرآن ، وتأتي مقيدة لمطلقه ، ومخصصة لعمومه ، ومفسرة لمجمله ، ومنشئة لحكم جديد ، وبعض العلماء يجمع ذلك في ثلاث منازل .

قال ابن القيم - رحمه الله - : والذي يجب على كل مسلم اعتقاده : أنه ليس في سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة سنَّة واحدة تخالف كتاب الله ، بل السنن مع كتاب الله على ثلاث منازل :

المنزلة الأولى : سنَّة موافقة شاهدة بنفس ما شهد به الكتاب المنزل .

المنزلة الثانية : سنَّة تفسر الكتاب ، وتبين مراد الله منه ، وتقيد مطلقه .

المنزلة الثالثة : سنَّة متضمنة لحكم سكت عنه الكتاب ، فتبيِّنه بياناً مبتدأً .

ولا يجوز رد واحدة من هذه الأقسام الثلاثة ، وليس للسنة مع كتاب الله منزلة رابعة .

والذي ندين الله به أنه لم تأت سنَّة صحيحة واحدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تناقض كتاب الله وتخالفه ألبتة ، كيف ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو المبين لكتاب الله ، وعليه أنزل ، وبه هداه الله ، وهو مأمور باتباعه ، وهو أعلم الخلق بتأويله ومراده ؟! .

ولو ساغ رد سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فهمه البعض من ظاهر الكتاب لردت بذلك أكثر السنن ، وبطلت بالكلية .

وما من أحد يُحتج عليه بسنَّة صحيحة تخالف مذهبه ونحلته إلا ويمكنه أن يتشبث بعموم آية ، أو إطلاقها ، ويقول : هذه السنة مخالفة لهذا العموم والإطلاق فلا تقبل .

حتى إن الرافضة قبحهم الله سلكوا هذا

المسلك بعينه في رد السنن الثابتة المتواترة، فردوا قوله صلى الله عليه وسلم (لا نُورث ما تركنا صدقة) وقالوا: هذا حديث يخالف كتاب الله، قال تعالى (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين).

وردت الجهمية ما شاء الله من الأحاديث الصحيحة في إثبات الصفات بظاهر قوله (ليس كمثله شيء).

وردت الخوارج من الأحاديث الدالة على الشفاعة، وخروج أهل الكبائر من الموحدين من النار بما فهموه من ظاهر القرآن.

وردت الجهمية أحاديث الرؤية مع كثرتها وصحتها بما فهموه من ظاهر القرآن في قوله تعالى (لا تدركه الأبصار).

وردت القدرية أحاديث القدر الثابتة بما فهموه من ظاهر القرآن.

وردت كل طائفة ما ردته من السنة بما فهموه من ظاهر القرآن.

وما من أحد رد سنَّة بما فهمه من ظاهر القرآن إلا وقد قبل أضعافها مع كونها كذلك.

وقد أنكر الإمام أحمد والشافعي وغيرهما على من ردَّ أحاديث تحريم كل ذي ناب من السباع بظاهر قوله تعالى (قل لا أجد في ما أوحي إليَّ محرماً) الآية.

وقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على من رد سنَّته التي لم تذكر في القرآن، ولم يدَّع معارضة القرآن لها؛ فكيف يكون إنكاره على من ادعى أن سنَّته تخالف القرآن وتعارضه؟.

" الطرق الحكمية " (٦٥ - ٦٧).

ويقول الشيخ الألباني - رحمه الله - في رسالته النافعة " منزلة السنة في الإسلام، وبيان أنه لا يستغنى عنها بالقرآن "، وفيها: قوله تعالى: «وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» (النحل ٤٤)، والذي أراه أن هذا البيان المذكور في هذه الآية الكريمة يشتمل على نوعين من البيان:

الأول: بيان اللفظ ونظمه:

وهو تبليغ القرآن، وعدم كتمانه، وأداؤه إلى الأمة، كما أنزله الله تبارك وتعالى على قلبه صلى الله عليه وسلم، وهو المراد بقوله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ» (المائدة ٦٧)، وقد قالت السيدة عائشة - رضي الله عنها - في حديثٍ لها " ومن حدثك أن محمداً كتم شيئاً أمر بتبليغه؛ فقد أعظم على الله الفرية "، ثم تلت الآية المذكورة " - أخرجه الشيخان -، وفي رواية لمسلم: " لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتماً شيئاً أمر بتبليغه لكتم قوله تعالى: «وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ» (الأحزاب ٣٧).

والآخر: بيان معنى اللفظ، أو الجملة، أو الآية الذي تحتاج الأمة إلى بيانه:

وأكثر ما يكون ذلك في الآيات المجملة، أو العامة، أو المطلقة، فتأتي السنَّة، فتوضح المجمل، وتُخصِّص العام، وتقيِّد المطلق، وذلك يكون بقوله صلى الله عليه وسلم، كما يكون بفعله وإقراره.

وقوله تعالى: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) المائدة/٣٨، مثال صالح لذلك، فإن السارق فيه مطلقٌ كاليد، فبينت السنَّة القوليَّة الأول

> **الذي يجب على كل مسلم اعتقاده: أنه ليس في سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة سنَّة واحدة تخالف كتاب الله.**

منهما ، وقيدته بالسارق الذي يسرق ربع دينار بقوله صلى الله عليه وسلم : (لا قطع إلا في ربع دينار فصاعداً) - أخرجه الشيخان -.

كما بينت الآخر بفعله صلى الله عليه وسلم أو فعل أصحابه وإقراره ، فإنهم كانوا يقطعون يد السارق من عند المفصل ، كما هو معروف في كتب الحديث ، وبينت السنة القولية اليد المذكورة في آية التيمم : (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) النساء/٤٣ و المائدة /٦ بأنها الكف أيضاً بقوله صلى الله عليه وسلم : (التيمم ضربة للوجه والكفين) أخرجه أحمد والشيخان وغيرهم من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما .

> الـــذي نـديـن الله به أنه لم تـأت سنة صحيحة واحـدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تناقض كتاب الله وتخالفه البتة .

واليكم بعض الآيات الأخرى التي لا يمكن فهمها فهماً صحيحاً على مراد الله تعالى إلا من طريق السنة :

١. قوله تعالى : (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) الأنعام /٨٢ . فقد فهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قوله(بظلم) على عمومه الذي يشمل كل ظلم ولو كان صغيراً ، ولذلك استشكلوا الآية فقالوا : يا رسول الله أيُنا لم يلبس أيمانه بظلم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : (ليس بذلك ، إنما هو الشرك :ألا تسمعوا إلى قول لقمان : (إن الشرك لظلم عظيم) لقمان/١٣ ؟) أخرجه الشيخان وغيرهما .

٢. قوله تعالى : (حرمت عليكم الميتة والدم) (المائدة/٣) ، فبينت السنة القولية أن ميتة الجراد والسمك ، والكبد والطحال ، من الدم حلال ، فقال صلى الله عليه وسلم ، (أحلت لنا ميتتان ودمان ، الجراد والحوت - أي : السمك بجميع أنواعه - ، والكبد والطحال) - أخرجه البيهقي وغيره مرفوعاً وموقوفاً ، وإسناد الموقوف صحيح ، وهو في حكم المرفوع ؛ لأنه لا يقال من قِبَل الرأي - .

٣. قوله تعالى : « قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ » (الأنعام ١٤٥) ، ثم جاءت السنة فحرمت أشياء لم تذكر في هذه الآية ، كقوله صلى الله عليه وسلم : (كل ذي ناب من السباع ، وكل ذي مخلب من الطير حرام) ، وفي الباب أحاديث أخرى في النهي عن ذلك ، كقوله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر : (إن الله ورسوله ينهيانكم عن الحمر الإنسية ؛ فإنها رجس) - أخرجه الشيخان - .

٤. قوله تعالى : (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) الأعراف/٣٢ ، فبينت السنة أيضاً أن من الزينة ما هو محرم ، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خرج يوماً على أصحابه وفي إحدى يديه حرير ، وفي الأخرى ذهب ، فقال : (هذان حرام على ذكور أمتي ، حلٌ لإناثهم) - أخرجه الحاكم وصححه - .

إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة المعروفة لدى أهل العلم بالحديث والفقه .

ومما تقدم يتبين لنا أهمية السنة في التشريع الإسلامي ، فإننا إذا أعدنا النظر في الأمثلة المذكورة - فضلا عن غيرها مما لم نذكر - نتيقن أنه لا سبيل إلى فهم القرآن الكريم فهماً صحيحا إلا مقروناً بالسنة" .

والله من وراء القصد

والحمد لله رب العالمين

وسائل المحافظة على صلاة الفجر

إعداد الشيخ/صلاح نجيب الدق

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ الأسوة الْحَسَنَة وعلى آله وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين. وبعدُ: فقد ذكر العلماءُ فضائل كثيرة لصلاة الفجر نُوجزها في الأمور التالية:

(١) أقسم الله تعالى بالفجر:

قال الله تعالى: (وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ) (الفجر:١ :٥)؛ أقسمِ الله تعالى بالفجر، وهذا دليلٌ على شرف هذا الوقت ومنزلته العالية عند الله تعالى.

قال ابنُ جرير الطبري رحمه الله: هَذَا قَسَمٌ أَقْسَمَ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالْفَجْرِ، وَهُوَ فَجْرُ الصُّبْحِ.

روى ابنُ جرير الطبري عن ابن عباس، قوله: (وَالْفَجْرِ) يعني: صلاة الفجر. (تفسير الطبري ج٢٧ ص٢٦٥، ٢٦٦).

(٢) صلاة الفجر تشهدها الملائكة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: تَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) (مسلم حديث:٦٤٩).

(٣) المحافظة على صلاة الفجر سبيل الجنة:

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ. (البخاري حديث٥٧٤، ومسلم حديث٦٣٥).

و(البردان): صلاة الفجر والعصر.

قال الخطّابي (رحمه الله): سُميتا بَردين لأنهما تُصليان في بَردى النهار، وهما طرفاه حين يطيب الهواء وتذهب سَوْرَة الحر. (فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج٢ص٦٤).

(٤) المحافظة على صلاة الفجر
جماعة في المساجد أمان للمسلم من عذاب النار.

عَنْ عُمَارَةَ بْنِ رُؤَيْبَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (لَنْ يَلِجَ (يدخل) النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا)؛ يَعْنِي: الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ. (مسلم حديث:٦٣٤).

(٥) الله تعالى يباهي بالمحافظين
على صلاة الفجر الملائكة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ. (البخاري حديث٥٥٥، ومسلم حديث٦٣٢).

قال ابنُ حجر العسقلاني (رحمه الله) في هذا الحديث: إشارة إلى عظم هاتين الصلاتين لكونهما تجتمع فيهما الطائفتان وفي غيرهما طائفة واحدة واشارة إلى شرف الوقتين المذكورين. وقد ورد أن الرزق يُقسَم بعد صلاة الصبح وأن الأعمال تُرفع آخر النهار. فمن كان حينئذ في طاعة بُورك في رزقه وفي عمله. (فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج٢ص٤٥).

(٦) الجلوس من بعد صلاة الفجر
حتى الشروق يعدل ثواب حجة وعمرة:

روى الترمذيُّ عنْ أنس بْن مالك قال: قال رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ. (حديث صحيح) (صحيح الترمذي للألباني حديث ٤٨٠).

(٧) صلاة الفجر حِصْنٌ للمسلم من كل شيء:

عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ فَلَا يَطْلُبَنَّكُمُ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكْهُ ثُمَّ يَكُبَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. (مسلم حديث:٦٥٧). (ذمة الله): حفظه ورعايته.

(٨) المحافظة على صلاة الفجر جماعة
في المساجد براءة للمسلم من بعض صفات المنافقين:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ. (مسلم حديث:٦٥١).

(٩) صلاة الفجر تجعل للمسلم نصيبا من قيام الليل:

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ. (مسلم حديث:٦٥٦).

(١٠) المحافظة على صلاة الفجر من أسباب سعة الأرزاق:

عن صَخْرٍ الْغَامِدِيِّ أن النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا قَالَ: وَكَانَ (النبيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ وَكَانَ صَخْرٌ رَجُلًا تَاجِرًا وَكَانَ إِذَا بَعَثَ تِجَارَةً بَعَثَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ فَأَثْرَى وَكَثُرَ مَالُهُ. (صحيح الترمذي للألباني حديث ٩٦٨).

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ حِينَ يُسَلِّمُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا. (صحيح ابن ماجه للألباني حديث ٧٥٣).

(١١) سُنة الفجر خير من الدنيا وما فيها:

عَنْ عَائِشَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا. (مسلم حديث:٧٢٥). المقصود بالركعتين في هذا الحديث الشريف هما ركعتي سُنَّة الفجر. (سبل السلام للصنعاني ج١ ص٣٣٥).

(١٢) الاستيقاظ لصلاة الفجر
يجعلك تدرك وقت دعاءٍ مستجاب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ

حينَ يَمضي ثُلثُ الليلِ الأوّلُ فيقولُ: أنا الملكُ أنا الملكُ مَنْ ذا الذي يَدعوني فأستجيبَ له، مَنْ ذا الذي يَسألُني فأُعطيَه، مَنْ ذا الذي يَستغفرُني فأغفرَ له فلا يزالُ كذلكَ حتى يُضيءَ الفجرُ. (مسلم حديث:٧٥٨).

(١٣) صلاة الفجر من أسباب النصر على الأعداء:

عن صخرٍ الغامديِّ أن النبيَّ صلى الله عليه وسلَّم قال: اللهُمَّ بارِكْ لأُمَّتي في بُكورِها. قال: وكان (النبيُّ صلى الله عليه وسلم) إذا بعثَ سَرِيَّةً أو جَيشًا بعثَهُم أوَّلَ النهار. (صحيح الترمذي للألباني حديث ٩٦٨).

ومعلوم أن النهار يبدأ من الفجر، فإذا أدى الجنود صلاة الفجر جماعة ودعوا الله بالنصر على أعدائهم، استجاب الله دعاءهم.

(١٤) صلاة الفجر تضيء وجوه المؤمنين يوم القيامة:

عَنْ بُرَيْدَةَ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلَّم قال: بَشِّرْ المَشّائينَ في الظُّلَمِ إلى المَساجِدِ بالنُّورِ التّامِّ يومَ القيامةِ. (صحيح أبي داود للألباني حديث ٥٢٥).

(١٥) المحافظة على صلاة الفجر
من أسباب رؤية الله تعالى يوم القيامة:

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً يَعْنِي الْبَدْرَ فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا. ثُمَّ قَرَأَ: (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ) (طه:١٣٠) (البخاري حديث ٥٥٤، ومسلم حديث٦٣٣).

وسائل المحافظة على صلاة الفجر

ذكر بعض أهل العلم وسائل يمكن أن تساعد المسلم على المحافظة على صلاة الفجر جماعة في المساجد، يمكن أن نوجزها فيما يلي:

(١) إخلاص النية لله تعالى وحده:

يجب على المسلم أن يعزم النية بقلبه على الاستيقاظ لصلاة الفجر ابتغاء وجه الله تعالى وحده، وليس طلبًا لمدح الناس. قال الله تعالى: (وما أُمروا إلا ليَعبُدوا الله مخلصين له الدِّين حُنفاء ويُقيموا الصلاة ويُؤتوا الزكاة وذلك دينُ القيِّمة) (البينة:٥).

عن عُمرَ بْنِ الخطّابِ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ: إنّما الأعمالُ بالنِّيّاتِ وإنّما لكلِّ امرئٍ ما نوى. (البخاري حديث: ١).

(٢) الابتعاد عن السهر والتبكير بالنوم:

ينبغي لمن يريد أن يحافظ على صلاة الفجر أن يتجنب السهر بعد صلاة العشاء، إلا لأمر فيه مصلحة، كدراسة العلوم الشرعية أو الدنيوية، التي تعود بالنفع على المسلم، أو أمور دنيوية مباحة، كالحديث مع أفراد أسرته، أو السمر مع الضيوف، أو ما شابه ذلك.

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا. (البخاري حديث:٥٦٨):

قال ابنُ حجر العسقلاني (رحمه الله): لأَنَّ النَّوْمَ قَبْلَهَا قَدْ يُؤَدِّي إِلَى إِخْرَاجِهَا عَنْ وَقْتِهَا مُطْلَقًا أَوْ عَنْ الْوَقْتِ الْمُخْتَارِ وَالسَّمَرُ بَعْدَهَا قَدْ يُؤَدِّي إِلَى النَّوْمِ عَنْ الصُّبْحِ أَوْ عَنْ وَقْتِهَا الْمُخْتَارِ أَوْ عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَضْرِبُ النَّاسَ عَلَى ذَلِكَ وَيَقُولُ أَسَمَرًا أَوَّلَ اللَّيْلِ وَنَوْمًا. آخِرَهُ (فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج٢ص٨٧)

(٣) استخدام وسائل التنبه
الحديثة التي تساعد على الاستيقاظ:

إذا كنا نحرص على الذهاب إلى العمل في الوقت المحدد، خشية العتاب أو التعرض للعقوبة من المسئول عن العمل، ونأخذ بكل الوسائل التي تجعلنا نذهب إلى العمل مبكرين، إن الاستيقاظ لحضور صلاة الفجر جماعة في المساجد، أحق من حرصنا على العمل. يستطيع المسلم أن يستخدم المنبه، أو هاتفه المحمول، أو أي وسيلة أخرى لمساعدته على الاستيقاظ لصلاة الفجر.

(٤) الاستعانة ببعض أهل الخير على الاستيقاظ لصلاة الفجر.

ينبغي على المسلم أن يوصي أهل بيته، أو من يسكن بجواره، أو أحد من أصدقائه الصالحين، بإيقاظه لصلاة الفجر. وهذا من باب التعاون على الخير. قال الله تعالى:(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (المائدة:٢)، وقال سبحانه:(وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) (العصر:١:٣).

(٥) نضح قليل من الماء برفق في وجه النائم:

إذا كان المسلم ثقيل النوم، نضحنا برفق في وجهه قليلاً من الماء، مع مراعاة ألا يترتب على ذلك منكر. وهذه طريقة فعالة لطرد النوم، وقد أرشدنا إليها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في سُنته المباركة: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ. رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ. (صحيح أبي داود للألباني حديث: ١٢٨٧).

قال شمس الحق العظيم أبادي (رحمه الله): قوله صلى الله عليه وسلم (نَضَحَ) أي رش (فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ) والمراد التلطف معها والسعي في قيامها لطاعة ربها مهما أمكن. قال تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) (المائدة:٢) (عون المعبود شرح سنن أبي داود ج٤ص٢٢٨).

(٦) ذكر الله تعالى عقب الاستيقاظ مباشرة:

ينبغي على المسلم أن يذكر الله تعالى و يقول دعاء الاستيقاظ الثابت عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم،فإن هذا من أفضل وسائل التغلب على النوم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ. (البخاري حديث١١٤٢، ومسلم حديث٧٧٦).

(٧) عدم الإكثار من تناول الطعام قبل النوم:

كثرة تناول الطعام قبل النوم من أسباب النوم الثقيل، ولذا ينبغي على المسلم أن يقتصد عند تناول طعامه قبل النوم، فتستريح معدته، ويسهل عليه الاستيقاظ لصلاة الفجر جماعة في المسجد. وأرشدنا نبينا صلى الله عليه وسلم إلى ذلك في سُنته المباركة.

روى الترمذيُّ عنْ المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ. (صحيح الترمذي للألباني حديث ١٩٣٩).

(٨) اجتناب المعاصي والحرص على الطاعات، وتجديد التوبة:

الحرص على طاعة الله تعالى من أهم الأسباب التي تساعد المسلم على المحافظة على صلاة الفجر. إن العبد قد يحرمه الله تعالى من التوفيق إلى الطاعة بسبب ذنوبه، من غير توبة نصوح.

قال رجل للحسن البصري: يا أبا سعيد: إني أبيت معافى (في صحة جيدة) وأحب قيام الليل وأُعد طهوري فما بالي لا أقوم؟ فقال الحسن: ذنوبك قيدتك. (إحياء علوم الدين للغزالي ج١ص ٣٥٦)

قال أبو سليمان الداراني (رحمه الله): لا تفوت أحداً صلاة الجماعة إلا بذنب. (إحياء علوم الدين للغزالي ج١ص ٣٥٦)

(٩) الحرص على الوضوء وقراءة أذكار النوم الثابتة عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

(١٠) تذكُر ثواب صلاة الفجر وأن ذلك يثقل ميزان حسنات المؤمن يوم القيامة.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ، وَأَصْحَابِهِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

باب السيرة

الحلقة 13

فضائل أهل بدر

إعداد **د/ سيد عبد العال**

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. أما بعدُ؛ فما زلنا في غزوة بدر، وقد ذكرنا قبلُ "أن جبريل جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين-أو كلمة نحوها-، قال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة". (البخاري: ٣٩٩٢).

وهذا ما حدا بنا إلى الحديث في فضلِ مَنْ شهِدَ بَدْرًا. إن الصحابة الذين شهدوا موقعة بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الذين اختارهم الله واصطفاهم؛ فجعل لهم ميزة تميزوا بها على غيرهم من عباد الله؛ إذ إن معركة بدر تعتبر من أعظم المعارك التي انتصر فيها الإسلام على الكفر وأهله، وبسببها انتشر ضوء الإسلام في أنحاء الجزيرة العربية، ثم إلى خارجها، وبسببها أضيأت الطريق أمام الدعاة إلى الله؛ لتحقيق العبودية لله ـ تعالى ـ، ونبذِ جميع المعبودات التي تعبد من دون الله نتيجة اتباع الهوى، والتقليد الأعمى، وكل من شارك من الصحابة في وقعة بدر كانت له المكانة اللائقة بالثناء الحسن في الدنيا، والفوز بالجنة، والنجاة من النار في الآخرة؛ فأهل بدر هم النجوم التي أضاءت تاريخ الإسلام حتى أصبح يقال لأحدهم: فلان بدري، وشهد بدرًا، وكفى بهذه المنقبة شرفًا، وتعظيمًا لهم في هذه الدنيا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وكفى بذلك أجرًا وإحسانًا عند رب العالمين في الحياة الآخرة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وأما عددهم؛ فكما سبق ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً. (تاريخ الطبري: ٤٣٢/٢). وعن عمر رضي الله عنه أنهم كانوا ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا" (مسلم: ١٧٦٣).

والحديث مُفسّر للبضع المذكور في الأحاديث الأخرى.

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله: "وأجمعوا: على أن خير الصحابة أهل بدر، وخير أهل بدر العشرة، وخير العشرة الأئمة الأربعة أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضوان الله عليهم" رسالة إلى أهل الثغر (٢٩٩).

وأما فضائلهم فمنها ما يلي:

- شهد الله لهم بإخلاص نياتهم في الجهاد في سبيل الله، ومن أجل ذلك أكرمهم بالنصر

والتمكين.. قال تعالى: "قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ " (آل عمران: ١٣).

وفيها ثناء من الله تعالى على أهل بدر بخلوص نياتهم في الجهاد يوم بدر ،وأنهم ما قاتلوا يومذاك حمية، ولا شجاعة، ولا لترى أماكنهم، وإنما قاتلوا؛ لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى؛ فأيدهم الله بنصره وأكرم بها من منقبة، وأكرم به من موقف عظيم يذكرون به في الدنيا والآخرة. عقيدة أهل السنة في الصحابة (١٦٦/١).

- شهد الله لهم بحقيقة الإيمان في قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي أيَدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤمِنِينَ"

قال مقاتل: قواك بنصره وبالمؤمنين من الأنصار يوم بدر. زاد المسير ٣٧٦/٣.

وفيها إخبار من المولى جل وعلا بحقيقة إيمانهم... قال تعالى: "وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا " (الأنفال: ١٧).

فالمقصود بالمؤمنين في هذه الآية هم الذين شهدوا بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلوا معه أعداء دينه من كفار قريش؛ فلقد شهد الله لهم في هذه الآية بأنهم مؤمنون وأكرم بها من شهادة صادرة عمن يعلم السر وأخفى.

- قال تعالى: "إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائكَةِ مُنْزَلِينَ"، وقال تعالى: "إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا..." الآية؛ فقوله تعالى: "إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ"، وقوله: "فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا" شهادة قاطعة يقينية على إثبات إيمان أهل بدر رضي الله عنهم وكفى بهذه الشهادة شرفًا ورفعة لأولئك البدريين الأطهار إذ هي شهادة صادرة من رب السموات والأرض وما بينهما الذي يعلم الأمور على حقائقها وما هي عليه. عقيدة أهل السنة في الصحابة (١٧٠/١).

-الشهادة لهم بالجنة وأن معصومون من الموت على الشرك والنفاق، وأن ما وقع منهم من معصية دون ذلك فإنها تقع مغفورة ببركة شهود بدر؛ وبيان ذلك في حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: "بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبا مرثد، والزبير،-وكلنا فارس-؛ قال: "انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ؛- وهو موضع بين مكة والمدينة بقرب المدينة- فإن بها امرأةً من المشركين معها كتاب من حاطب ابن أبي بلتعة إلى المشركين" فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: الكتابَ فقالت: ما معي كتاب، وأنخناها، فالتمسنا فلم نر كتابًا؛ فقلنا: ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لتخرجن الكتاب، أو لنُجَرِّدنك؛ فلما رأت الجد أهوت إلى حاجزتها، وهي محتجزة بكساء . فأخرجته، فانطلقنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر: يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين؛ فدعني فلأضرب عنقه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما حملك"؟ قال حاطب: والله ما بي أن لا أكون مؤمنًا بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "صدق ولا تقولوا له إلا خيرا"! فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين؛ فدعني فلأضرب عنقه! فقال: "لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم؛ فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم". فدمعت عينا عمر رضي الله عنه وقال: الله ورسوله أعلم. البخاري (٣٩٨٣).

فما أعظم هذا التكريم لتلك الفئة المؤمنة من البدريين، وما أعظم فضلها عند المولى-سبحانه وتعالى - وقد اتفقوا على أن البشارة المذكورة فيما يتعلق بأحكام الآخرة، لا بأحكام الدنيا من إقامة الحدود وغيرها. الفتح (٣٠٥/٧).

وقد أشكل على كثير من النَّاس مَعْنَاهُ فَإِن ظَاهره إِبَاحَة كل الأَعْمَال لَهُم وتخييرهم فِيمَا شاءوا مِنْهَا وَذَلِكَ مُمْتَنع.

وأجيب بأجوبة أحسنها ما ذكره ابن القيم حيث قال: الَّذِي نظن فِي ذَلِك-وَالله أعلم- أَن هَذَا خطاب لقوم قد علم الله سُبْحَانَهُ أَنهم

لا يفارقون دينهم بل يموتون على الإِسْلَام وَأَنَّهُمْ قد يقارفون بعض مَا يقارفه غيرهم من الذُّنُوب، وَلَكِن لَا يتركهم سُبْحَانَهُ مصرين عَلَيْهَا بل يوفقهم لتوبة نصوح واستغفار وحسنات تمحو أثر ذَلِك ويكون تخصيصهم بِهَذَا دون غيرهم؛ لِأَنَّهُ قد تحقق ذَلِك فيهم وَأَنَّهُمْ مغْفُور لَهُم وَلَا يمْنَع ذَلِك كَون الْمَغْفِرَة حصلت بِأَسْبَاب تقوم بهم كَمَا لَا يَقْتَضِي ذَلِك أن يعطلوا الْفَرَائِض وثوقا بالمغفرة فَلَو كَانَت قد حصلت بِدُونِ الاسْتِمْرَار على الْقيام بالأوامر لما احتاجوا بعد ذَلِك إِلَى صَلَاة، وَلَا صِيَام، وَلَا حج، وَلَا زَكَاة، وَلَا جِهَاد، وَهَذَا محَال؛ وَمن أوجب الْوَاجِبَات التَّوْبَة بعد الذَّنب؛ فضمان الْمَغْفِرَة لَا يُوجب تَعْطِيل أَسبَاب الْمَغْفِرَة. الفوائد(١٤).

وقال ابن تيمية: فدل ذلك على أن الحسنة العظيمة يغفر الله بها السيئة العظيمة. الفتاوى الكبرى (٣/٤٥٢).

وقال ابن القيم: فيه أن الكبيرة العظيمة مما دون الشرك قد تكفر بالحسنة الكبيرة الماحية، كما وقع الجس -التجسس- من حاطب مكفرًا بشهوده بدرا؛ فإن ما اشتملت عليه هذه الحسنة العظيمة من المصلحة وتضمنته من محبة الله لها ورضاه بها، وفرحه بها، ومباهاته للملائكة بفاعلها، أعظم مما اشتملت عليه سيئة الجس من المفسدة، وتضمنته من بغض الله لها، فغلب الأقوى على الأضعف؛ فأزاله، وأبطل مقتضاه، وهذه حكمة الله في الصحة والمرض الناشئين من الحسنات والسيئات، الموجبين لصحة القلب ومرضه، وهي نظير حكمته تعالى في الصحة والمرض اللاحقين للبدن، فإن الأقوى منهما يقهر المغلوب ويصير الحكم له، حتى يذهب أثر الأضعف، فهذه حكمته في خلقه وقضائه وتلك حكمته في شرعه وأمره.... ثم قال: وبالجملة فقوة الإحسان ومرض العصيان متصاولان ومتحاربان، ولهذا المرض مع هذه القوة حالة تزايد، وترام إلى الهلاك، وحالة انحطاط وتناقص، وهي خير حالات المريض، وحالة وقوف وتقابل إلى أن يقهر أحدهما الآخر، وإذا دخل وقت البُحران وهو ساعة المناجزة؛ فحظ القلب أحد الخطتين، إما السلامة، وإما العطب، وهذا البحران يكون وقت فعل الموجبات التي توجب رضى الرب تعالى ومغفرته، أو توجب سخطه وعقوبته، وفي الدعاء النبوي: "أسألك موجبات رحمتك"...

فتأمل قوة إيمان حاطب التي حملته على شهود بدر، وبذله نفسه مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وإيثاره الله ورسوله على قومه وعشيرته، وقرابته، وهم بين ظهراني العدو، وفي بلدهم، ولم يثن ذلك عنان عزمه، ولا فل من حد إيمانه، ومواجهته للقتال لمن هم أهله وعشيرته، وأقاربه عندهم، فلما جاء مرض الجس برزت إليه هذه القوة، وكان البحران صالحا؛ فاندفع المرض، وقام المريض كأن لم يكن به قلبة، ولما رأى الطبيب قوة إيمانه قد استعلت على مرض جسه وقهرته، قال لمن أراد فصده: لا يحتاج هذا العارض إلى فصاد، "وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم؛ فقد غفرت لكم" وعكس هذا ذو الخويصرة التميمي وأضرابه من الخوارج الذين بلغ اجتهادهم في الصلاة والصيام والقراءة إلى حد يحقر أحد الصحابة عمله معه كيف قال فيهم: " "لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد" فلم ينتفعوا بتلك الأعمال العظيمة مع تلك المواد الفاسدة المهلكة واستحالت فاسدة... فالمعول على السرائر، والمقاصد، والنيات، والهمم، فهي الإكسير الذي يقلب نحاس الأعمال ذهبا، أو يردها خبثا، وبالله التوفيق.

ومن له لُبّ وعقل يعلم قدر هذه المسألة وشدة حاجته إليها وانتفاعه بها، ويطلع منها على باب عظيم من أبواب معرفة الله سبحانه وحكمته في خلقه وأمره وثوابه وعقابه وأحكام الموازنة، وإيصال اللذة والألم إلى الروح والبدن في المعاش والمعاد، وتفاوت المراتب في ذلك بأسباب مقتضية بالغة ممن هو قائم على كل نفس بما كسبت. زاد المعاد (٣/٣٧٣). وللحديث بقية إن شاء الله تعالى، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

خدمة المرأة لزوجها

بين الحكم الفقهي و الطرح العلماني

(والمرأة راعية في بيت زوجها)

إعداد د. محمد عبد العزيز

«ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ» (سبأ: ١)، وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء، وإمام المرسلين، وبعد:

بين يدي المقال:

فهذا هو المقال الثالث والأخير في هذا الموضوع: خدمة المرأة زوجها، وهذه المسألة فرع عن الحقوق الزوجية التي شرعها الله للزوجين، وقد سبق أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: حقوق مشتركة بين الزوجين.

القسم الثاني: حقوق للزوج على زوجته.

القسم الثالث: حقوق للزوجة على زوجها.

ومن أدلة هذه الحقوق في الجملة:

قوله تعالى: «وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ» (البقرة: ٢٢٨).

وحديث عمرو بن الأحوص أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ؛ فذكر في الحديث قصة فقال: «... ألا إن لكم على نسائكم حقًا ولنسائكم عليكم حقًا» (أخرجه الترمذي (٣٠٨٧) وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى (٤١٠٠)، وابن ماجه (٣٠٥٥).

والحقوق الزوجية إنما شُرعت لحفظ السكن والمودة والرحمة، وصيانة الأسرة، ورفع الشقاق والتخاصم بين الزوجين، ولم تشرَع

لإيقاع التنازع والتناحر والندّية التي تؤدي لتفكيك الأسرة وتنتهي بها إلى الطلاق، وتشتيت الأولاد. ونظرة واحدة إلى تقرير الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء تبين لك حجم هذه المشكلة، وسأنقل لك تقرير العام الماضي ٢٠٢١م لعدد حالات الزواج، وعدد حالات الطلاق الموثق لتعرف حجم المشكلة:

بلغت عدد عقود الزواج الموثق: ٨٨٠.٠٤١ عقدًا، وبلغت عدد عقود الطلاق الموثقة: ٢٥٤.٧٧٧ عقدًا، وبلغت عدد حالات الخلع: ٩.١٩٧ حالة خلع.

النسبة المئوية لعدد عقود الطلاق إلى عقود الزواج: ٢٨,٩٣٪.

أي: أن كل ١٠٠ عقد زواج يقابلها تقريبًا: ٢٨ إلى ٢٩ عقد طلاق، وهذه نسبة مئوية مرتفعة للغاية.

وأنا أعزو هذا لثلاثة أسباب مترابطة:

الأول: النشاط الملحوظ للكثير من الجمعيات النسوية والتيارات التي تتبعها في وسائل الإعلام في البرامج، والأعمال الدرامية، والأدبيات التي تبث عبر وسائل الإعلام المختلفة.

الثاني: تنازل الأُسر عن تربية الأبناء وتوعيتهم بالحياة الزوجية، وما يترتب عليها من تحمل للمسؤوليات.

الثالث: التناقص الملحوظ في البرامج الدعوية التي تعنى بالأسرة، على أن البرامج الدعوية التي تُعنَى بذلك على قلتها إن لم نقل ندرتها لا تتعدى المساجد.

فينبغي للأسرة والدعاة والمصلحين والموجهين والمربين التنبُّه لهذا الأمر الذي أصبح ظاهرة، ومحاولة إيجاد سبل الوقاية والعلاج في طريقين متوازيين.

والباحث لا يريد أن يسطح هذه المشكلة، أو أن يلتف حولها، ولا يريد أيضًا أن يحيد عن موضوع المقال: خدمة المرأة زوجها، لكن لم تعد هذه المسألة مجرد خلاف فقهي وقع بين الفقهاء بقدر ما أصبح تكأة ينطلق منها من يريد تفكيك الأسر وايجاد التنازع والشقاق والندية فيها فلينتبه لذلك.

أولا: معنى وجوب خدمة المرأة زوجها:

أن عليها وجوبًا الخدمة الباطنة في البيت من التنظيف والفرش، وإعداد الطعام، وغسل الثياب، ورعاية الولد، في مقابل وجوب نفقة الرجل على الزوجة في المأكل والمشرب، والملبس والسكنى.

ثانيًا: معنى عدم الوجوب عند القائلين به يتعدى ترك خدمة الزوج فإنه يعني عندهم: أنه يجب على الزوج ترفيهُ المرأة، وقيامه بخدمتها، وكنسه للبيت وفرشه، واعداده للطعام، وغسيله للثياب بنفسه إن لم يستطع أن يخدمها خادمًا، هذا بالإضافة إلى وجوب النفقة عليه للزوجة في المأكل والمشرب، والملبس والسكنى؛ فالنفقة عندهم في مقابلة حق الاستمتاع.

قال أبو إسحاق الشيرازي في المهذب (٢ / ٤٨٢): «ولا يجب عليها خدمته في الخبز والطحن والطبخ والغسل وغيرها من الخدم؛ لأن المعقود عليها من جهتها هو الاستمتاع فلا يلزمها ما سواه».

ثالثًا: تحرير محل النزاع في مسألة خدمة المرأة زوجها:

١ - ذكر محل الاتفاق والإجماع:

أ - أجمع أهل العلم على مشروعية خدمة المرأة زوجها، سواء أكانت ممن تخدم نفسها أو ممن لا تخدم نفسها، فلا خلاف بينهما في ذلك وهذا إجماع على أقل ما قيل في المسألة.

ب - أجمعوا على أن الرجل يكفي المرأة الزمنة أو صاحبة العاهة الخدمة.

ج - عامة العلماء متفقون على أنه إذا أعسر الزوج بنفقة الخادم ألا يفرق بين الرجل وامرأته. (الإقناع في مسائل الإجماع، لأبي الحسن ابن القطان (٢ / ٥٩)، الموسوعة الفقهية الكويتية (٤٤/١٩).

٢ - تحرير محل الخلاف:

بعد اتفاق الفقهاء على مشروعية خدمة المرأة لزوجها اختلفوا في الحكم الفقهي لذلك على قولين في الجملة:

القول الأول: وجوب خدمة المرأة زوجها،

وهو ظاهر قول الحنفية، والمالكية، وأبي بكر بن أبي شيبة وأبي إسحاق الجوزجاني، وابن تيمية وابن القيم من الحنابلة.

قال ابن شاس في عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة (٢ / ٥٩٧): «فإن كانت إلى الضعة ما هي في نفسها وصداقها، وليس معه ما يشتري به خادم، فليس على الزوج أن يُخدمها، وعليها الخدمة الباطنة من عجن، وطبخ وكنس وفرش واستسقاء ماء إذا كان الماء معها، وعمل البيت كله.

وان كان زوجها مليئًا، إلا أنه في الحال مثلها أو أشف، ما لم يكن من أشراف الناس الذين لا يمتهنون نساءهم في الخدمة، وإن كن دونهم في القدر.

وأما الغزل والنسج، فليس له ذلك عليها بحال، إلا أن تطوع.

وإذا كان معسرًا، فليس عليه إخدامها، وإن كانت ذات قدر وشرف، وعليها الخدمة الباطنة، كما هي على الدنية».

وقال ابن تيمية " الأخبار العلمية من الاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام ابن تيمية"، للبعلي (ص ٢١٢): «وتجب خدمة زوجها بالمعروف من مثلها لمثله، ويتنوع ذلك بتنوع الأحوال: فخدمة البدوية ليست كخدمة القروية، وخدمة القوية ليست كخدمة الضعيفة».

القول الثاني: عدم وجوب خدمة المرأة زوجها، وهو ظاهر قول الشافعية، والحنابلة، والظاهرية فهو عندهم موضع استحباب، واحسان عشرة. قال ابن قدامة في المغني (٧ / ٢٩٦): «ولكن الأولى لها فعل ما جرت العادة بقيامها به؛ لأنه العادة، ولا تصلح الحال إلا به، ولا تنتظم المعيشة بدونه».

أدلة القول الأول:

استدل القائلون بالوجوب بأمرين في الجملة:

الأول: أن عقد النكاح عقد على الاستمتاع بغير خلاف، وهو عقد مُطلق فيما دون ذلك، والعقود المطلقة تُحمل على العرف، والعرف السائد أيام نزول الوحي خدمة المرأة زوجها، كما سيأتي بعد قليل.

قال ابن قيم الجوزية في زاد المعاد (٥/١٨٦): «فإن العقود المطلقة إنما تنزّل على العرف، والعرف خدمة المرأة، وقيامها بمصالح البيت الداخلة».

وإلى ذلك مال الحافظ ابن حجر خلافًا للشافعية، قال في فتح الباري (٩ / ٣٢٤): «والذي يترجح حمل الأمر في ذلك على عوائد البلاد فإنها مختلفة في هذا الباب».

الثاني: الاستدلال بالوحيين.

أما القرآن: فقوله تعالى: «وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ» (البقرة: ٢٢٨)

وقد أوجب الله سبحانه نفقة المرأة وكسوتها ومسكنها، فيقابل ذلك خدمتها له، بما جرت به عادة الأزواج.

ولا يقال: النفقة في مقابلة الاستمتاع؛ لأمرين:

الأول: أن المهر يقدّمه الرجل في مقابلة البضع، ففي حديث ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتلاعنين: حسابكما على الله، أحدكما كاذب، لا سبيل لك عليها.

قال: يا رسول الله: مالي؟ قال: لا مال لك، إن كنت صدقت عليها، فهو بما استحللت من فرجها». أخرجه البخاري (٥٣١٢) ومسلم (١٤٩٣).

فجعل صلى الله عليه وسلم المهر في مقابلة البُضع.

وأما الاستمتاع فكل من الزوجين يقضي وطره من صاحبه، فبقيت النفقة في مقابلة الخدمة.

الثاني: قوله تعالى: «ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ» (النساء: ٣٤).

فإذا أوجبنا على الرجل ترفيه المرأة فإما أن يُخدمها خادمًا فإن أعسر به أخدمها نفسه، فتكون القوامة عليه لها على عكس الحكم الشرعي.

الثالث: حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته: فالأمير الذي على الناس راع عليهم، وهو مسؤول عنهم والرجل راع على أهل بيته وهو

مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم ....». أخرجه البخاري (٢٤٠٩)، ومسلم (١٨٢٩).

فرعاية المرأة في بيت زوجها وولده التي ستسأل عنها قد عينها العرف بالخدمة.

الرابع: عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أن فاطمة - رضي الله عنها - اشتكت ما تلقى من الرحى في يدها، وأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - سبي فانطلقت فلم تجده ولقيت عائشة - رضي الله عنها - فأخبرتها فلما جاء النبي - صلى الله عليه وسلم - أخبرته عائشة بمجيء فاطمة - رضي الله عنها – إليها.

فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إلينا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: على مكانكما. فقعد بيننا حتى وجدت برد قدمه على صدري.

ثم قال: ألا أعلمكما خيرًا مما سألتما، إذا أخذتما مضاجعكما أن تكبرا الله أربعًا وثلاثين وتسبحاه ثلاثًا وثلاثين وتحمداه ثلاثًا وثلاثين؛ فهو خير لكما من خادم». (أخرجه البخاري (٣١١٣)، (٥٣٦١)، (٥٣٦٢)، (٦٣١٨)، ومسلم (٧٠٩٠).

وموضع الشاهد فيه:

١ ـ خدمة فاطمة ـ رضي الله عنها ـ لعلي ـ رضي الله عنه ـ، مع علم النبي صلى الله عليه وسلم واقراره.

٢ ـ أن ذلك موضع شكاية، فهو موضع قضاء فلا يُقال أقرها على إحسان.

٣ ـ أنها طلبت خادمًا من أبيها وليس من علي ـ رضي الله عنه ـ.

الخامس: صح عن أسماء أنها قالت: كنت أخدم الزبير خدمة البيت كله، وكان له فرس وكنت أسوسه، وكنت أحتش له، وأقوم عليه.

وصح عنها أنها كانت تعلف فرسه، وتسقى الماء، وتخرز الدلو وتعجن، وتنقل النوى على رأسها من أرض له على ثلثي فرسخ. [أخرجه البخاري (٣١٥١)، (٥٢٢٤)، ومسلم (٥٨٢٢).

قال ابن قيم الجوزية في زاد المعاد (١٨٦/٥): «ولما رأى أسماء والعلف على رأسها، والزبير معه، لم يقل له: لا خدمة عليها، وإن هذا ظلم لها، بل أقره على استخدامها ـ وأقر سائر أصحابه على استخدام أزواجهم مع علمه بأن منهن الكارهة والراضية، هذا أمر لا ريب فيه».

وقد حمله المانعون من الوجوب على الاستحباب، قال ابن قدامة في المغني (٧ / ٢٩٦): «فأما قسم النبي -صلى الله عليه وسلم- بين علي وفاطمة، فعلى ما تليق به الأخلاق المرضية، ومجرى العادة، لا على سبيل الإيجاب.

كما قد روي عن أسماء بنت أبي بكر، أنها كانت تقوم بفرس الزبير، وتلتقط له النوى، وتحمله على رأسها، ولم يكن ذلك واجبًا عليها.

ولهذا لا يجب على الزوج القيام بمصالح خارج البيت، ولا الزيادة على ما يجب لها من النفقة والكسوة.

ولكن الأولى لها فعل ما جرت العادة بقيامها به؛ لأنه العادة، ولا تصلح الحال إلا به، ولا تنتظم المعيشة بدونه».

ولهم غير ذلك من الأدلة التي تدور حول إقرار النبي صلى الله عليه وسلم لخدمة النساء للصحابة.

أدلة القول الثاني:

استدل أصحاب القول الثاني بأمرين في الجملة:

الأول: أن عقد النكاح عقد على الاستمتاع، وليس الاستخدام.

الثاني: أن الأصل براءة الذمة من عهدة الوجوب، فلا يُقال بها إلا بدليل.

وقد سلموا للفريق الأول بما استدلوا به غير أنهم حملوه على أدنى مراتب الطلب، وهو الإحسان والاستحباب.

فهذا غاية ما يقال في هذه المسألة، ولا يخفى على القارئ اللبيب ما الراجح من المذهبين، وإلى أي كفة يميل استدلال الفريقين.

هذا والله أعلم، وإلى لقاء قريب.

الأخوَّة الصادقة

إعداد الشيخ/ عبده أحمد الأقرع

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

أما بعدُ: فإن رسالة الإسلام رسالة خير وبر وسلام، ومبادئه مبادئ عدل وحب ووئام، ويحث على التوادد والتراحم، والترابط والتلاحم. ودلائل صدق هذه الرابطة، أن يشعر المسلم بإخوانه محققًا قول النبي صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». متفق عليه.

والتألم الحق هو الذي يدفعك إلى كشف ضوائق إخوانك، فلا تهدأ حتى تزول الغمة، وتنكشف الظلمة، حينئذ يستنير وجهك، ويرتاح ضميرك، فإن فعلت فتكن ممن عناهم الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث، أن تتألم لألمه، وتحزن لحزنه، وتعينه على دفع كربه، أما موت العاطفة وقلة الاكتراث، وكأن الأمر لا يعني، فهو تنكر لهذه الإخوة، فضلاً عن أنه جفاء في الخلق، وجمود في الطبع، وأنانية والأنانية آفة قاتلة، وإذا سيطرت على امرئ محقت خيره وزادت شره، وجعلته يعيش في دائرة نفسه، لا يعرف غيرها، ولا يفرح ولا يحزن إلا لما يصيبه في نفسه وحده، أما إخوانه وأصحاب الضوائق فلا يعرفهم. أقول: وما أكثر نعم الله على عباده، وأعظم نعمة أنعم الله بها على هذه الأمة أن بعث فيها رسوله الكريم محمدًا صلى الله عليه وسلم ليرشد إلى مكارم الأخلاق التي تحلى بها بشهادة الرب سبحانه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤).

ومنها: خلق الإيثار: قال القرطبي رحمه الله: (الإيثار هو تقديم الغير على النفس في حظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الدينية، وذلك ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة، والصبر على المشقة). (الجامع لأحكام القرآن ١٨/١٨).

وهذا لا يكون إلا من خلق زكي، ومحبة لله تعالى، ومقدمة على شهوات النفس ولذاتها. فالمسلم متى رأى مجالاً للإيثار آثر غيره على نفسه، وفضله عليها، فقد يجوع ليشبع غيره، ويعطش ليروي سواه.

وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في هذا الخلق العزيز في أيامنا هذه.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببردة منسوجة، فقالت: نسجتها بيدي لأكسوكها، فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجًا إليها، فخرج إلينا وإنها لإزاره، فقال فلان: اكسنيها ما أحسنها. فقال: «نعم» فجلس النبي صلى الله عليه وسلم في المجلس، ثم رجع فطواها، ثم أرسل بها إليه: فقال له القوم: ما أحسنت: لبسها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجًا إليها، ثم سألته، وعلمت أنه لا يرد سائلاً، فقال: إني والله ما سألته لألبسها، إنما سألته لتكون كفني، قال سهل: فكانت كفنه. (البخاري (١١٣/٣-١١٤)).

هذا مثل من أمثال اتصافه صلى الله عليه وسلم بهذا الخلق الكريم، فهل بعد هذا كرم يصدر من مخلوق؟ وهل وراء هذا الإيثار إيثار؟

وإيثاره صلى الله عليه وسلم لأهل الصفة: قال صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة رضي الله عنه: «خذ فأعطهم». يقول أبو هريرة رضي الله عنه: فأخذت القدح جعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليَّ القدح حتى انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد روي القوم كلهم. فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إليَّ فتبسم فقال: «أبا هر»، قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «بقيت أنا وأنت»، قلت: صدقت يا رسول الله. قال: «اقعد فاشرب»، فقعدت فشربت، فقال: «اشرب»، فشربت فما زال يقول: «اشرب». حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكًا. قال: «فأرني» فأعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة. (البخاري ٦٤٥٢).

وقد تأسى الصحابة الكرام برسول الله صلى الله عليه وسلم في الإيثار فأثنى الله عليهم وأنزل فيهم قرآن: فقال سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر: ٩).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إني مجهود، أي: أصابني الجهد، وهو المشقة والحاجة وسوء العيش والجوع. فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماءً، ثم أرسل إلى أخرى، فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما

عندي إلا ماء.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من يضيف هذا الليلة؟». فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله، فقال لأمرأته: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي رواية: قال لامرأته: هل عندك شيء؟ فقالت: لا، إلا قوت صبياني. قال: علليهم بشيء، وإذا أرادوا العشاء، فنوميهم، وإذا دخل ضيفنا، فأطفئي السراج، وأريه أنا نأكل، فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين، فلما أصبح، غدا على النبي صلى الله عليه وسلم: فقال: «لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة» وفي رواية: قال صلى الله عليه وسلم: «لقد عجب الله عز وجل أو ضحك من فلان وفلانة، فأنزل الله عز وجل: «وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» (الحشر: ٩)». متفق عليه.

وهذا نوع آخر من الإيثار فريد من نوعه: فعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: لما قدمنا المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبين سعد بن الربيع، قال سعد بن الربيع، إني أكثر الأنصار مالا فأقسم لك نصف مالي، وانظر أي زوجتي هويت نزلت لك عنها، فإذا حلت تزوجتها، فقال له عبد الرحمن: لا حاجة لي في ذلك هل من سوق فيه تجارة؟. (البخاري ٤/٢٨٨).

وهذا نوع آخر من الإيثار الدال على الزهد وإيثار ما عند الله. روى مالك الدار (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ أربعمائة دينار، فجعلها في صرة، فقال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة، ثم تلهَّ ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع. قال: فذهب الغلام، فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك. فقال: وصله الله ورحمه، ثم قال: تعالي يا جارية: اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى أنفذها. فرجع الغلام إلى عمر وأخبره، فوجده قد أعد مثلها إلى معاذ بن جبل، فقال: اذهب بها إلى معاذ بن جبل، وتلهَّ ساعة في البيت، حتى تنظر ما يصنع، فذهب بها إليه، فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذا في بعض حاجتك، فقال: رحمه الله ووصله، تعالي يا جارية: اذهبي إلى بيت فلان بكذا، واذهبي إلى بيت فلان بكذا، فاطلعت امرأة معاذ فقالت: نحن والله مساكين فأعطنا، ولم يبق في الخرقة إلا ديناران فدفع بهما – أي رمى بهما إليها: فرجع الغلام إلى عمر فأخبره بذلك، فسر بذلك وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض). (حلية الأولياء: ١/٢٣٧).

الله أكبر! ما أحوجنا إلى رجال كهؤلاء ولذلك قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يومًا لمن حوله: تمنوا، فقال بعضهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهبًا، فأنفقه في سبيل الله، ثم قال: تمنوا، فقال رجل: أتمنى لو أنها

مملوءة لؤلؤًا وزبرجد أو جوهرًا، فأنفقه في سبيل الله، وأتصدق، ثم قال عمر: تمنوا، فقال: ما ندري يا أمير المؤمنين. فقال عمر رضي الله عنه: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان. (حلية الأولياء: ١/٢٣٧).

وهذه امرأة أوجب الله لها الجنة بسبب الإيثار. عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه أنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمر التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار». (مسلم ٢٦٣٠).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أهدى لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة، فقال: إن أخي فلانًا وعياله أحوج إلى هذا منا، فبعث به إليهم، فلم يزل يبعث به واحدًا إلى آخر حتى تداولها أهل سبعة أبيات حتى رجعت إلى الأول فنزلت: «وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» (الحشر: ٩). (الدر المنثور: ٨/١٠٧).

هذه هي الأخوة يحققون قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحث لنفسه» متفق عليه.

ولقد أتى أبا هريرة رضي الله عنه رجل فقال: يا أبا هريرة إني أريد أن أؤاخيك في الله، فقال أبو هريرة، وهل تدري ما حق الأخوة؟ قال: لا. عرفني. قال: إن من حق الأخوة ألا تكون أحق بدرهمك ولا دينارك مني. فقال الرجل: لم أبلغ هذه المنزلة. قال: فإليك عني. (منهاج المسلم: ص١٣١).

وقال أبو جعفر لأصحابه يومًا: أيدخل أحدكم يده في جيب أخيه فيأخذ من ماله ما يريد؟ قالوا: لا. قال: فلستم بإخوان كما تزعمون. (مختصر منهاج القاصدين: ص١٠٠).

وقال بعض السلف: ما كنت لأقول لرجل إني أحبك في الله فأمنعه شيئًا من الدنيا.

وقال بعضهم: إني لأستحي من الله أن أسأل الجنة لأخ من إخواني ثم أبخل عنه بدينار أو درهم.

وهذا نوع آخر من الحب والإيثار سهل يسير والعمل به قليل: الدعاء؛ فعن أم الدرداء قالت: كان لأبي الدرداء ستون وثلاثمائة خليل في الله، يدعو لهم في الصلاة، فقلت له في ذلك، فقال: إنه ليس رجل يدعو لأخيه في الغيب، إلا وكل الله ملكًا يقول: آمين، ولك بمثل. أفلا أرغب أن تدعو لي الملائكة؟

وعن أبي قلابة، أن أبا الدرداء مر على رجل قد أصاب ذنوبًا فكانوا يسبونه. فقال: أرأيتم لو وجدتموه في قليب-يعني: بئر- ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى. قال: فلا تسبوا أخاكم، واحمدوا الله عز وجل الذي عافاكم. قالوا: أفلا تبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي. (صفة الصفوة: (١/٢٦٨)).

وكان محمد بن يوسف الأصفهاني يقول: وأين مثل الأخ الصالح؟ أهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفك وهو منفرد بحزنك مهتم فما قدمت وما صرت إليه يدعو لك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى.

فحققوا أيها المؤمنون هذه الأخوة بالتحاب بينكم والتآلف، وحققوا إيمانكم بتحقيق ما جاء به نبيكم صلى الله عليه وسلم: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه». (مسلم ٢٦٩٩).

«رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» (الحشر: ١٠).

والحمد لله رب العالمين.

الإسلام
دين السلام العالمي

إعداد **أ.د. عبد الوارث عثمان**

أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فمن المعلوم أن رسالة الإسلام تحمل للإنسانية مفاهيم راشدة ومبادئ قيمة راسخة وقواعد محكمة وحكيمة وأحكام ربانية خالصة تضمن للبشرية حياة طيبة، ويحقق لها الرخاء والأمن والطمأنينة والسلام في كل ربوع الأرض وفي كل موضع تطؤه قدم لبشر، يعلم هذا المؤمنون به وكل عاقل منصف اطلع على شريعته الغراء وحقائقه الواضحة وعلومه النافعة وتراثه العظيم، غير أن أعداءه الذين يتربصون به الدوائر، وكذلك الذين تحركهم عوامل الحسد والأحاسيس الحقيرة يشنون عليه في العصر الحديث هجمة شرسة وحشية وحملات ظالمة جائرة ممنهجة غير مسبوقة يعملون فيها على تشويه الإسلام وشريعته ومصادره الموثوقة وتاريخه المجيد ورجاله العدول شوامخ الفكر ورؤوس الهدى والرشاد، ووصفه بالوحشية والعنف والإرهاب. ولم يسجل التاريخ أن أمة حوربت في دينها مثل أمة الإسلام فقد تكالب عليها الأعداء من كل حدب وصوب، فما من قتيل يقتل في بلاد الغرب إلا أسرعت وسائل إعلامهم بإلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام ثم تتلقف وسائل الإعلام في بلادنا العربية والإسلامية هذه الأخبار وتنقلها نصًا إلى أسماع الناس بما تحويه من مغالطات واتهامات ترسم صورة شوهاء عن الإسلام في بلاده وأرضه.

بيد أن الإسلام بريء من الإرهاب وهو رسالة عالمية تدعو إلى السلام بين البشر جميعًا وتغرس دعائم التعاون والإخاء والمحبة والمودة والتعايش بين الناس على اختلاف ألوانهم والسنتهم. وهي المبادئ التي يدعيها الغرب اليوم، وهي مستجدة في أنظمتهم الحديثة، ولكنها في رسالة الإسلام الخالدة متأصلة تدعمها نصوص القرآن الكريم وأقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وممارسات الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل، فالأمة الإسلامية وحدها هي القادرة على تكوين نظريات سياسية واقتصادية واجتماعية صحيحة؛ لأنها تملك مضمونًا حضاريًا تكوّن في بداية نشأتها ودعوتها، فليست كالحضارات الوضعية التي نشأت كرد فعل لحضارات أخرى، كما أن نظريات الأمة الإسلامية التي تكونت في نشأتها من حيث الممارسة والتطبيق، وهما المضمون الحضاري لم تنقطع الوجود في أي مرحلة من عمرها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون" (أخرجه البخاري والترمذي في الفتن). فالأمة الإسلامية تفردت في تاريخ البشرية بأن ثوابتها وأحكامها ومبادئها ونظرياتها تكونت من خلال منهجها مع تمام نشأتها.

لذلك عندما نقول: إن الإسلام دين السلام العالمي فهذا يعني أننا أمام مناهج قويمة وقواعد عملية ونظم هادية وتشريعات محكمة مستمدة من وحي السماء استطاعت أن تحول العرب من نار الحقد والعداوة إلى نهر الرحمة والتسامح إذ كانوا قبل الإسلام أعداءً يفجرون في الخصومة فألف الله بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانًا وعلى الحق أعوانًا ولم يكونوا يعرفون يومئذ سوى بعض المعارف الفطرية إلا أن رسالة الإسلام أعادت في نفوسهم الكرامة الإنسانية فحازوا العلوم والمعارف حتى أشرقت شمسهم في الشرق والغرب وسقطت عروش الأكاسرة والأباطرة أمام مصابيحهم التي أضاءت ربوع الأرض أمنًا وسلامًا ورحمة ونورًا وعلمًا ووعيًا. ومن أصر منهم على البقاء على دينه، ورفض الدخول في هذا الدين، لم يكرهه على اعتناقه غير أنه فتح له الباب على مصراعيه ليدخل في نطاق الأخوة الإنسانية الشاملة التي لا اعتداء فيها ولا انتهاك لحرمة.

والإسلام لم يحرم على اتباعه التعامل وتبادل المنافع مع غير المسلمين، شريطة أن يعيشوا في سلام ومودة مع المسلمين دون تآمر أو خبث، ولا يمد إليهم أيديهم بما يسيء للإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: « لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ » (سورة الممتحنة: ٨- ٩).

والحرب في الإسلام ليس أمرًا فوضويًا كما تمليه القوة العسكرية الغاشمة والأطماع الدنيوية الفانية، وانما لها ضوابط إسلامية وأحكام شرعية تعبدية ومبادئ إنسانية سامية ولها غايات نبيلة ومقاصد شريفة.

ضوابط الحرب في الإسلام: على أن الإسلام حينما أراد أن يرد على حرمات المسلمين، ليؤدبهم ويجعلهم يفكرون قبل أن يندفعوا وراء رغباتهم العدوانية في النيل من المسلمين والاعتداء عليهم، حث المسلمين على الوقوف عند حدود الأخذ بالحق دون مواصلة الهجوم بعد الحصول عليه، ووضع الضوابط القوية لتكون بمثابة الحدود التي لا يجوز أن يتخطاها المسلمون في حروبهم ضد الأمم الأخرى:

أولاً: أن تكون لغرض مشروع، كالدفاع عن الحوزة، لا لهوى حاكم ولا أطماع رئيس.

ثانيًا: أن تكون الرحمة شعار المؤمنين فلا يقتلوا طفلاً ولا شيخًا ولا رجل دين، ولا مستسلمًا ولا امرأة لا تقاتل ولا أحد من خدم المحاربين، ولا أن يحرقوا دور أعدائهم أو يقطعوا أشجارهم.

ثالثًا: ألا يسرفوا في انتصارهم، فلا يجردوا المغلوبين من حقوقهم، ولا يصادروا أموالهم، ولا يضطهدوهم لدينهم، ولا يتقاضوا منهم إلا الجزية، وهو مبلغ من المال يقل كثيرًا عما كانت تتقاضاه منهم حكومات تلك الأمم المغلوبة. فهذا هو القرآن يأمر المؤمنين به أن

يعاملوا الخائن بمثل عمله ولا يتعدوه إلى الجور والتنكيل، ويزين لهم الصبر إذا آثروه على العقاب «وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ» (سورة النحل ١٢٦).

وقد غدر بعض المشركين بصلح الحديبية، وهو المقصود بالعهد عند المسجد الحرام، فلم يبطل النبي صلى الله عليه وسلم عهد سائرهم، ولم يقبل عنده قرشيًا مشركاً يجيئه مسلمًا في أثناء قيام العهد عملاً بما اتفق عليه المسلمون والمشركون، قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم: بعثتني قريش إلى النبي، فلما رأيت النبي وقع في قلبي الإسلام، فقلت: يا رسول الله، لا أرجع إليهم قال: "إني لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البرود، ولكن ارجع إليهم.. فإن كان في قلبك الذي فيه الآن فارجع".. بل روي في الوفاء بالعهد ما هو أكثر من ذلك؛ لأنه عهد بين آحاد في مثل حالة الإكراه، كما جاء في حديث حذيفة بن اليمان حيث قال: "ما منعني أن أشهد بدرًا إلا إنني خرجت أنا وأبي فأخذنا كفار قريش، فقالوا إنكم تريدون محمداً. فقلنا ما نريده، وما نريد إلا المدينة. فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننطلق إلى المدينة ولا نقاتل معهم. فأتينا رسول الله فأخبرناه الخبر، فقال: انصرفا نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم".

مفاهيم مغلوطة وأكاذيب متعمدة:

ومن الاتهامات الباطلة التي يثيرها بعض المتلقفين للحضارة الغربية التركيز على نشر الأفكار الضالة التي تحويها كتب الاستشراق والتنصير؛ حيث تقدم صورًا مشوهة عن الإسلام من خلال مفاهيم الجهاد والخلافة وتعدد الزوجات وحرية الاعتقاد والتعبير عن الرأي وغير ذلك من تعاليم الإسلام وبأنه اتخذ من السيف وسيلة للانتشار بين الأمم وارتكز مروجو هذه المقولة الظالمة على ما فهموه وفق أهوائهم ومجونهم العقلي من كتاب الله في آياته المتعلقة بالجهاد في سبيل الله، ودفع أذى المشركين، مقتطعين هذه الآيات عن سياقها القرآني العام، ومتغافلين لكثير من الضوابط التي حددها القرآن وبينتها السنة المطهرة، وظهرت آثارها واضحة جلية في مجريات الأحداث التاريخية للغزوات الإسلامية يضاف إلى ذلك كله سوء نيتهم تجاه هذا الدين.

وفي الحقيقة إذا توقفنا عند زعم هؤلاء بأن الإسلام انتشر بحدّ السيف، وأن العلاقة بينه وبين الأمم علاقة حرب وقتال نجد أننا أمام أكذوبة كبرى وأضلولة عظمى أوقعهم فيها خبثهم الشديد وجهلهم بالقرآن الكريم وسيرة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم ومطالعة سير حياة أصحابه رضي الله عنهم وتجاهلهم المتعمد لتاريخ أمة الإسلام في تطبيقاتها الواقعية والعملية لهدى الإسلام وأحكامه.

فالإسلام بحكم كونه خاتم الرسالات مع عالمية دعوته وما تعنيه من امتداد في المكان والزمان قد التفت إلى أن يحمل في بنيته أسباب حياته إلى ما شاء الله، وقدرته على احتواء كل ما تقذف به الأيام والحوادث، وتطورات الحياة وتغير الناس، تتجلى هذه الالتفاتات في منهجه المتكامل، للتعامل مع الشعوب والحضارات والملل المختلفة، وقد أقر الإسلام باختلاف الناس والأجناس، قال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ» (الحجرات: ١٣).

حفظ الكرامة الإنسانية وحقن الدماء:

إن شريعة القرآن لم تضع السيف قط في غير موضعه، ولم تستخدمه قط حيث يُستغنى عنه بغيره. وقد نشأت الدعوة الإسلامية بين أقوام يحاربونها ويكيدون لها ويصدون الناس عنها، وأمر المسلمون بقتال من يقاتلونهم في غير عدوان ولا شطط: «وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ» (البقرة: ١٩٠). ولو رجعنا إلى حروب العقائد من الوجهة العملية لوجدنا أن أصحاب الأديان الأخرى قد شنوا على غيرهم من الحروب "المقدسة" أضعاف ما أثر عن تاريخ الإسلام. ويشهد الماضي والحاضر أن علاقات الحرب والسلم بين المسلمين وجيرانهم، ومعاهديهم هي أرفع معاملة عرفت في عصور الحضارة الإنسانية: أمن الطريق، وأمان الوادعين المسالمين، وفتح المسالك للأرزاق والذهاب والمآب. وتنظيم ذلك كله بالعهود والمواثيق، مع حثّ المسلمين على رعايتها ومسامحة الغادرين في غدرهم إذا أمنوا العاقبة. ولم تلجئهم الضرورة إلى مقابلة الغدر بمثله دفعًا للهلاك وصونًا للحدود والحرمات. نعم أباح الإسلام الحرب، ولكنه حاطها من الملطفات بما لم تبلغ إليه عدالة القرن الواحد والعشرين وخلصها مما كانت تنشره الكتب التي يعتبرها الاوروبيون مقدسة. فقد

جاء في الكتاب الخامس من الزبور "إذا أدخلك ربك في أرض لتملكها، وقد أباد أممًا كثيرة من قبلك، فقاتلهم حتى تفنيهم عن آخرهم، ولا تعطهم عهدًا، ولا تأخذنك عليهم شفقة أبدًا" (التعصب الغربي في الحروب).

وقد خاض الأوربيون باسم الدين حروبًا كانت شر الحروب التي شبت بين البشر عامة في قسوتها وتناسى كل الحقوق الإنسانية فيها، وقد أقر الحروب أصحاب الفلسفات الغربية والحركات الشيوعية المعاصرة؛ فالإسلام لم ينفرد بمشروعية الحرب، وانما انفرد كعادته بتلطيف هذه المجازر الإنسانية إلى آخر حد يمكن الوصول إليه، بدون الإخلال بسلامة الحوزة، فوضع للحرب حدودًا، وشرط على الغزاة شروطا، كلها ترمي إلى احترام الدماء البشرية والعمل بأرقى ضروب العطف على الإنسانية.

إن الحروب في الإسلام لم تكن عدوانًا على الحرمات ولم تكن سلبًا للحقوق واغتصابًا للأرض، وانتقاصًا من كرامة الشعوب، وإنما كانت لصون الحقوق وردعًا لمن تسول له نفسه الاعتداء على الدولة الإسلامية، أو من تجب عليها رعايتهم ممن يدخلون معهم في حلف، أو يكونون تحت رعايتها من أصحاب الديانات.

فالإسلام عندما يأمر بإعداد العدة والاستعداد الدائم لملاقاة الأعداء، إنما كان يهدف إلى أن يفكر العدو مرات ومرات قبل الإقدام على العدوان، وبذلك تصان الدماء على الجانبين. وهو ما تؤكده هذه الآيات الكريمة بسياقها التي جاءت عليه قال تعالى: «وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ» (الأنفال ٦٠).

ولأن إعداد القوة في الإسلام إنما جاء لصيانة الحقوق، وحقن الدماء على الجانبين كانت هذه الوصية الغالية التي تضمنتها الآية التالية مباشرة «وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ» (الأنفال ٦١).

ومن أشد العجب أن الدول الغربية التي تصف الإسلام بالوحشية والعنف والإرهاب أقامت فيما بينها أشر الحروب في تاريخ البشرية إبان ثورتها الصناعية الحديثة أذاقت العالم كله مرارة القتل والتشريد والجوع والحرمان وقد نالت أمة الإسلام أقساطا ثقيلة من جراء هذه الحروب الوحشية بين الدول الغربية.

فمنها:

١ - احتلال الغرب لبلاد المسلمين.

٢- نهب خيرات ثروات العالم الإسلامي مما أسهم في بناء الدول الغربية وأوصلتها إلى ما هي فيه من التقدم العسكري والاقتصادي، ربما ازدادت بلادنا تخلفًا وفقرًا. فكلما دارت رحى الحرب بينهم تأثرت اقتصاديات العالم العربي والإسلامي وتجرعت الناس ذل الحاجة والعوز ومر غلاء أسعار السلع وصعوبة تحصيل الأقوات الضرورية للحياة نتيجة لاعتمادنا عليهم في مجالات الصناعة والتجارة وفي جل سبل حياتنا وهو ما ضمنوه لأنفسهم قبل أن يرحلوا من ديارنا بوسائل محددة ومناهج مدروسة وخطة رسموا معالمها بدقة فائقة من الصعب تعطيلها، والبحث في أغوارها إلا أن يتغمدنا الله برحمته ويؤيدنا بنصره ويرد هذه الأمة إلى دينها ووعيها ردًا جميلاً.

ولكن على الأمة الإسلامية أن تعرف حقائق دينها وتعي مقاصد أحكامه وتعرف غاياته وتلتزم بأخلاقه ولا تتأثر بهذه الافتراءات والتخرصات الباطلة على دينها دين الإسلام الذي أرسى دعائم الأمن والسلام والتسامح والرحمة في العالم بمناهج إلهية خالصة ودلائل نبوية صادقة وممارسات عملية لأتباعه في عصوره الزاهية. إن الإسلام بنى خطته في الحياة على معايشة جميع الشرائع السماوية، واستحالة زوالها، واكتفى بأن يبقى مذكرًا للحق منكرًا للهوى، نرى ذلك في قوله- سبحانه وتعالى-: «ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذن لمن الظالمين» (البقرة: ١٤٥). حسبنا نحن المسلمين أن نقرر الحق وأن نحيا على هداه وأن نمهد طريقه لكل من أحب سلوكه وارتضاه، وأن نرد المهاجمين، ونحمي المستضعفين، وأن نسكت المعتدين إذا تمادوا في غيهم وأذاهم.

والله المستعان.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

الصبر وأداء العبادات طريق النجاة

قال تعالى: "وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" (الأنعام: ١٥٣)

من أقوال السلف

قالت حفصة بنت سيرين: "يا معشر الشباب! اعملوا فإنما العمل في الشباب".

(السنة للالكائي)

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

الستر

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيَ صلَى الله عليه وسلَم قال: «لا يستر عبدٌ عبدًا في الدَنيا، إلا ستره الله يوم القيامة». (صحيح مسلم).

من فضائل الصحابة

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا، ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله! لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه، فقال: "يا أبا بكر! ما ظنك باثنين الله ثالثهما".

(صحيح مسلم)

من دلائل النبوة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيتني في الحِجر وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربًا ما كربت مثله، فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم. (صحيح مسلم).

إعداد : علاء خضر

حال المسلم وقت الفتن

عن عبد الله قال: «إنها ستكون أمور مشتبهات، فعليكم بالتوْدة، فإنك أن تكون تابعًا في الخير، خير من أن تكون رأسًا في الشر» (كتاب الإبانة)

حكَم ومواعظ

عن الحسن قال: "لأهل التقوى علامات يُعرفون بها: صدق الحديث، وأداء الأمانة، والإيفاء بالعهد، وقلة الفخر والخيلاء، وصلة الرحم، ورحمة الضعفاء، وحسن الخلق، وسعة العلم، واتباع العلم فيما يقرب إلى الله زلفى.

(الحلم لابن أبي الدنيا).

من حكمة الشعر

قال علي بن أبي طالب عن الموت:

ولو أنا إذا متْنا تُركنا
لكانَ الموتُ راحةَ كلِّ حي
ولكنّا إذا متْنا بُعثْنا
ونُسألُ بعد ذا عن كُلِّ شي

مراحل طلب العلم

عن عبد الله بن المبارك كان يقول: "أول العلم النية، ثم الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر"

(جامع بيان العلم)

قواعد ذهبية في توحيد رب البرية

لا غياث ولا مغيث على الإطلاق إلا الله، وأن كل غوث فمن عنده، وإن كان جعل ذلك على يدي غيره؛ فالحقيقة له- سبحانه وتعالى- ولغيره مجاز.. ومن هذا الباب قول أبي يزيد البسطامي: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق. (مجموع الفتاوى).

المعازف

إعداد د. متولي البراجيلي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وبعد:

فقد تكلمت في الحلقات السابقة عن تعريف المعازف والأحاديث الواردة فيها، وختمت بحديث هشام بن عمار في صحيح البخاري، ورددت على النقد الموجه للسند من:

١- دعوى اضطراب السند.

٢- أن مدار الحديث على هشام بن عمار وهو متكلم فيه.

٣- أن الحديث معلق، والمعلق من أقسام الضعيف.

٤- أن الحديث آحاد، وحديث الآحاد لا يُعمَل به.

ثم انتقلت إلى المتن والنقد الموجه له:

١- القول بعدم الاتفاق على معنى كلمة المعازف.

٢- ضعف دلالة الاقتران.

٣- مقولة أن الاستحلال اعتقاد أن ما حرمه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم حلالاً.

٤- مقولة أن الحرمة في الحديث لاجتماع المذكورات الأربعة في الحديث مع بعضها البعض.

وأستكمل-بإذن الله تعالى- الرد على النقد الموجَّه لمتن الحديث:

٥- القول بأن الوعيد على شرب الخمر، وما المعازف إلا مكملة وتابعة (انظر الإسلام والفن الدكتور القرضاوي ص ٤٤).

ولأنه وردت روايات أخرى للحديث فيها: "ليشربن أناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها، ويعزف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات؛ يخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم القردة والخنازير" (سنن ابن ماجه وغيره).

ويجاب عن ذلك بما سبق أن بينته أن الاقتران ليس معناه أن التحريم لا يكون إلا عند الجمع بين المذكورات في الحديث. وإلا يلزم من ذلك أن شرب الخمر المذكور في الحديث لا يكون حرامًا إلا عند اقترانه بالمعازف والمغنيات- راجع دلالة الاقتران في مقالة شهر ربيع ثان- وهذا باطل كما لا يخفى.

٦- القول بأن الدف من المعازف وقد جوزه المشرع، وهذا يعارض حرمة المعازف، وأنه ورد في الآثار الدعوة إلى الضرب بالدف في الزواج، وقيل "فرق ما بين الحلال والحرام الدف"، ومثل ذلك الموسيقى. وهذا قياس غير صحيح،

فجواز المعازف في المناسبات كالعيد والأفراح وقدوم الغائب هو تخصيص من عموم حرمة المعازف، فتحريم المعازف ورد على العموم ثم خص النبي صلى الله عليه وسلم جواز الدف في أحاديث منها:

١- حديث محمد بن حاطب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت في النكاح" (صحيح سنن ابن ماجه وغيره).

٢- حديث بريدة رضي الله عنه قال: "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فلما انصرف (أي رجع) جاءت جارية سوداء، فقالت: يا رسول الله إني كنت نذرت أن ردك الله سالمًا أن أضرب بين يديك بالدف وأتغنّى، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن كنت نذرت فاضربي وإلا فلا..." (صحيح سنن الترمذي وغيره).

(فائدة: عن حديث بريدة، يقول ابن القيم: إن الحديث له وجهان: أحدهما: أن يكون أباح لها الوفاء بالنذر المباح، تطييبًا لقلبها، وجبرًا وتأليفًا لها في زيادة الإيمان وقوته، وفرحها بسلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم. والثاني أن يكون هذا النذر قربة لما تضمنه من السرور والفرح بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم سالمًا مؤيدًا منصورًا على أعدائه، قد أظهره الله، وأظهر دينه، وهذا من أفضل القُرَب فأمرت بالوفاء به"(إعلام الموقعين ٤/٢٤٥).

فما ورد في الدف هو تخصيص واستثناء من تحريم المعازف، فلا يُقال طالما جوز الدف وهو من المعازف، فقد جازت المعازف، فهذا استدلال عجيب، وإلا فنحن نحل كل أنواع الميتة والدم لأن النبي صلى الله عليه وسلم أحل ميتتي السمك والجراد، والكبد والطحال، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحلت لنا ميتتان ودمان، الميتتان: الحوت (السمك) والجراد، والدمان: الكبد والطحال" (صحيح ابن ماجه وغيره)؛ فهل نقول أنه يجوز جميع أنواع الميتة والدم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أباح بعضها، وهذا ما لم يقل به أحد.

٧- القول بأن المشرّع أباح الغناء للنساء، وغناؤهم أشد تأثيرًا في النفس من المعازف.

فلنتأمل في الأدلة التي ورد فيها غناء النساء:

١- في حديث بريدة السابق الذي فيه أن جارية سوداء نذرت عند عودة النبي صلى الله عليه وسلم سالمًا من غزوة له أن تضرب بالدف وتتغنى... أولاً: هي جارية، والجارية تطلق على الفتاة الصغيرة بحيث يؤمن عدم الافتتان بها. يقول المباركفوري: وفيه (الحديث) دليل على أن الوفاء بالنذر الذي فيه قربة واجب، والسرور بمقدمه صلى الله عليه وسلم قربة؛ سيما من الغزو الذي فيه تهلك الأنفس، وفي قولها "وأتغنى" دليل على أنه سماع صوت المرأة بالغناء مباح، إذا خلا من الفتنة (تحفة الأحوذي ٧/١٢٢).

إن الافتتان بصوت المرأة يكون بأمرين: إما بطريقة الأداء التي فيها الخضوع بالقول وترقيق الكلام، وقد نهى الله أمهات المؤمنين عن ذلك، فقال: (فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا) (الأحزاب: ٣٢). ولا شك أن النساء غيرهن أولى بالنهي.

الأمر الثاني: في نوعية الكلام المغنَّى، الجارية كانت تغني فرحًا بقدوم النبي صلى الله عليه وسلم من رجوعه من غزوة منتصرًا ومعه بعض كبار الصحابة، فهل يظن أنها كانت تغني إلا بشعر حماس أو بكلمات تعبّر بها عن الفرح بعودة النبي صلى الله عليه وسلم. يُضاف إلى ذلك أن غناءها كان بالدف فقط، وليس بمصاحبة المعازف والفرق الموسيقية.

٢- وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم في أيام منى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بالمدينة، وعندي جاريتان من جواري الأنصار- وليسا بمغنيتين- تضربان بدفين، وتغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث، يوم قتل فيه صناديد الأوس والخزرج، فاضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفراش وحوّل وجهه وتسجّى بثوبه، فدخل أبو بكر رضي الله عنه فانتهرهما وقال: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله

صلى الله عليه وسلم، فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال: دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد، وإن لكل قوم عيدًا، وهذا عيدنا. قالت فلما غفل غمزتهما فخرجتا. (البخاري ومسلم وغيرهما).

(تقاولت: خاطب بعضهم بعضًا بالشعر. الجارية: البنت الصغيرة، وفي أثر عائشة رضي الله عنها، وإن كان به ضعف إذا بلغت الجارية تسع سنين فهي امرأة. قال الألباني في إرواء الغليل: رواه الترمذي والبيهقي تعليقًا بدون إسناد، ثم أورد حديث ابن عمر المرفوع- وهو كحديث عائشة رضي الله عنهما- وضعّفه، لكنّ جمعًا من الفقهاء بنوا على هذا الأثر بعض الأحكام الفقهية. يقول ابن الجوزي: "والظاهر من هاتين الجاريتين صغر السن؛ لأن عائشة رضي الله عنها كانت صغيرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسرِّب إليها الجواري فيلعبن معها" (تلبيس إبليس ص٢٠٠).

في قول أم المؤمنين: "ليستا بمغنيتين"، احتراز، معناه ليس الغناء عادة لهما ولا هما معروفتان به. قال القاضي: إنما كان غناؤهما بما هو من أشعار الحرب والمفاخرة بالشجاعة، والظهور والغلبة، وهذا لا يهيج الجواري على شر، ولا إنشادهما لذلك من الغناء المختلف فيه، وإنما هو رفع الصوت بالإنشاد، ولهذا قالت: وليستا بمغنيتين، أي ليستا ممن يتغنى بعادة المغنيات من التشويق والهوى والتعريض بالفواحش والتشبيب بأهل الجمال، وما يحرك النفوس ويبعث الهوى والغزل...، والعرب تسمي الإنشاد غناءً، وهو ليس من الغناء المختلف فيه، بل هو مباح، وقد استجازت الصحابة غناء العرب الذي هو مجرد الإنشاد والترنم، وأجازوا الحداء وفعلوه بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي إنكار أبي بكر رضي الله عنه عليهما، فيه أن مواضع الصالحين وأهل الفضل تنزه عن الهوى واللغو ونحوه وإن لم يكن فيه إثم.

ونقل ابن الجوزي بسنده عن أحمد عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، عن جوار يغنين. أي شيء من هذا الغناء؟ قال: غناء الراكب: أتيناكم أتيناكم (تلبيس إبليس ص٢٠١).

وقد كان هذا في يوم العيد، والعيد يباح فيه إظهار السرور بالمباحات، لذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد، إن لكل قوم عيدًا، وهذا عيدنا" (انظر شرح النووي على مسلم: ٦ / ١٨٢-١٨٣).

قول أبي بكر رضي الله عنه: "أمزامير الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم"؛ يقول أبو الطيب الطبري: "هذا الحديث حجتنا لأن أبا بكر سمّى ذلك مزمور الشيطان، ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر قوله، وانما منعه من التغليظ في الإنكار لحسن رفقته لا سيما في يوم العيد (انظر تحريم آلات الطرب للألباني ص ١٠٦- ١١٥).

ويقول ابن تيمية: "في هذا الحديث بيان أن هذا لم يكن من عادة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الاجتماع عليه، ولهذا سماه الصديق أبو بكر رضي الله عنه مزمور الشيطان، والنبي صلى الله عليه وسلم أقر الجواري عليه معللاً ذلك بأنه يوم عيد، والصغار يُرخَّص لهم في اللعب في الأعياد، كما جاء في الحديث: "ليعلم المشركون أن في ديننا فسحة" (انظر السابق).

يقول ابن القيم: "فلم ينكر صلى الله عليه وسلم على أبي بكر تسميته الغناء مزمار الشيطان، وأقرهما لأنهما جاريتان غير مكلفتين تغنيان بغناء الأعراب، الذي قيل في يوم حرب بُعاث عن الشجاعة والحرب، وكان اليوم يوم عيد فتوسع حزب الشيطان في ذلك إلى صوت امرأة جميلة أجنبية.... مع آلات اللهو التي حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع التصفيق والرقص" (إغاثة اللهفان: ١/ ٢٥٧).

فهل في هذه الأدلة التي نظرنا فيها ما يَستند إليه هؤلاء الذين قالوا بأن غناء النساء جائز.

إن من القواعد العلمية أنه لا بد من تحرير محل النزاع قبل الاستدلال. فالغناء عند العرب: هو الإنشاد.. ونوع الغناء: كلمات شعرية تقال في الحرب والبطولة.

ولا علاقة له بأدنى صلة عن الغناء الذي يعنونه ويجوزونه.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

الحلقة 5

مدخل إلى علم التفسير

خصائص التفسير النبوي

إعداد **د. محمد عاطف التاجوري**

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله. أما بعد، فإن الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم في بيان معاني القرآن يمكن تقسيمه إلى الأنواع الآتية:

١) التفسير النبوي النصي:

وهذا مثل ما ذكره الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن حيث قال: لطالب التفسير مآخذ كثيرة أمهاتها أربعة:

الأول: النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: وهذا هو الطراز الأول، لكن يجب الحذر من الضعيف فيه والموضوع، فإنه كثير، وإن سواد الأوراق سواد في القلب، قال الميموني: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ثلاث كتب ليس لها أصول: المغازي والملاحم والتفسير. قال المحققون من أصحابه: ومراده أن الغالب أنها ليس لها أسانيد صحيحة متصلة، وإلا فقد صح من ذلك كثير، فمن ذلك تفسير الظلم بالشرك في قوله تعالى: «ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ» (الأنعام:٨٢)، وتفسير الحساب اليسير بالعرض، رواها البخاري، وتفسير القوة في قوله تعالى: «وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ» (الأنفال: ٦٠)، بالرمي، رواه مسلم، وبذلك يرد تفسير مجاهد بالخيل، وتفسير العبادة بالدعاء في قوله تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى» (غافر: ٦٠) (البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ج٢، ص ٩٦، ٩٧).

وقد نقل السيوطي هذا الكلام في كتابه الإتقان في علوم القرآن ثم قال معلقًا عليه: قلت الذي صح من ذلك قليل جدًا، بل أصل

المرفوع منه في غاية القلة، وسأسردها كلها آخر الكتاب إن شاء الله تعالى (الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ج٢، ص ٣٥٦).

ومسألة القلة والكثرة مسألة نسبية فقد يعني قائل ذلك قلة الآيات التي فسرها النبي صلى الله عليه وسلم نصًا بالنسبة لآيات القرآن كله، وقد يعني قلة هذه الأحاديث النسبة إلى السنة كلها، ولعل السبب في ذلك أن القرآن نزل على قوم من العرب بلغتهم العربية وكانوا في قمة عهودهم من الفصاحة والبلاغة، بل كانوا يتنافسون ويعقدون المسابقات في الفصاحة والبلاغة والأشعار فلا عجب أن يفهموا معظم آيات القرآن العربية والقليل الذي لم يفهموه فسر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد ذكرت أمثلة كثيرة على هذا النوع من التفسير النبوي في المقالات السابقة.

٢) التفسير النبوي الموضوعي:

والمقصود بالتفسير الموضوعي بيان ما ورد من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في الموضوع الذي تضمنته الآية التي نتعرض لتفسيرها أو لذكر ما ورد من تفسير نبوي بشأنها.

ومثال ذلك قوله تعالى: «فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ» (البقرة: ٢٤). فقد ورد في موضوع هذه الآية أحاديث كثيرة: منها ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم» قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: «فضلت عليهم بتسعة وستين جزءًا كلهم مثل حرها» (أخرجها البخاري برقم (٣٢٦٥)، ومسلم برقم ٢٨٤٣).

وكذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم واشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضًا، فأذن لها بنَفَسين: نفس في الشتاء، ونفَس في الصيف، فهو أشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير» (رواه البخاري برقم (٥٣٧)، ومسلم برقم (٦١٧).

وكذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ سمع وَجْبة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «تدرون ما هذا» قال: قلنا الله ورسوله أعلم، قال: «هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفًا فهو يهوى في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها» (رواه مسلم برقم ٢٨٤٤).

وغير ذلك من الأحاديث التي وردت في وصف جهنم وشدة نارها وحرارتها والتخويف منها حتى يتقيها المؤمنين كما أمرهم ربهم تبارك وتعالى، وليعلموا الكافرين ماذا أعد الله لهم يوم القيامة إن ظلوا على كفرهم حتى ماتوا عليه لعلهم يرجعون إلى ربهم عز وجل قبل فوات الأوان.

ومثال آخر قوله تعالى: «كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب» (العلق: ١٩)، فيذكر معه قوله صلى الله عليه وسلم: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» (أخرجه مسلم برقم ٤٨٢).

وكذلك قوله تعالى: «وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ» (الإسراء: ٦٤)، فموضوعها مشاركة الشيطان للإنسان في الأموال أن يأكل ويشرب وينام معه إذا لم يذكر الله تعالى، فقد جاء في صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال: الشيطان أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء» (أخرجه مسلم برقم ٢٠١٨).

وكذلك قوله تعالى: «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ» (البقرة: ٢٣٨)، فما هي الصلاة الوسطى؟

أخرج البخاري ومسلم من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم الأحزاب: «شغلونا عن الصلاة الوسطى؛ صلاة العصر، ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا» (أخرجه البخاري برقم ٦٣٩٦).

وكذلك قوله تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ

وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ» (يس: ١٢)، فقد أخرج مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا بني سلمة، دياركم تكتب آثاركم» (رواه مسلم برقم ٦٦٥).

وذلك عندما علم صلى الله عليه وسلم أن بني سلمة - وهم من الأنصار- أرادوا أن يتحولوا بمنازلهم قرب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال لهم ذلك يعني: الزموا دياركم وابقوا فيها، وكأنه صلى الله عليه وسلم كره أن يخلوا أنحاء المدينة، وأحب أن يكون أهل الخير منتشرين في البلد، ولا يكونون موجودين فقط حول المسجد، وتخلوا بقية الأحياء منهم، وكذلك قوله تعالى: «ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ» (الأحزاب: ٥).

فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الموضوع عدة أحاديث، ومن ذلك: ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كفر» (رواه البخاري برقم (٦٧٦٨)، ومسلم برقم ٦٢).

وكذلك قوله تعالى: «أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ» (التوبة: ٣٨).

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة في ذم الدنيا وبيان حقارتها مثل قوله صلى الله عليه وسلم: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافرًا منها شربة ماء» (رواه الترمذي وهو في صحيح الجامع للألباني برقم (٥١٦٨).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه-وأشار يحيى بالسبابة- في اليم، فلينظر بم يرجع» (رواه مسلم برقم (٢٨٥٨).

وبهذا النوع من التفسير النبوي وهو التفسير الموضوعي تتسع دائرة هذا التفسير، ولكن يجب أن لا يخرجنا اهتمامنا بهذا النوع عن المقصود الأهم من التفسير وهو ما يتعلق بألفاظ القرآن وذكر أسباب النزول، وبيان ما يؤخذ منه من المسائل الشرعية؛ كما قال الشوكاني منتقدًا هذا المسلك:

"واعلم أنه قد أطال كثير من المفسرين كابن كثير والسيوطي وغيرهما في هذا الموضع بذكر أحاديث الواردة في الإسراء على اختلاف ألفاظها، وليس في ذلك كثير فائدة، فهي معروفة في موضعها من كتب الحديث، وهكذا أطالوا بذكر فضائل المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، وهو مبحث آخر، والمقصود في كتب التفسير ما يتعلق بتفسير ألفاظ الكتاب العزيز، وذكر أسباب النزول، وبيان ما يؤخذ منه من المسائل الشرعية" (فتح القدير، للشوكاني، ج٣، ص ٢٨٩).

وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا.

صلاة الجمعة

فقد الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

تكلمنا في اللقاء السابق عن سنن وآداب صلاة الجمعة، ونواصل في هذا اللقاء الحديث عن هذه السنن والآداب.

إعداد **د. حمدي طه**

سنن وآداب صلاة الجمعة:

٥- الإنصات للخطبة:

اختلف الفقهاء في حكم الاستماع والإنصات للخطبة: فذهب الحنفيَة، والمالكيَة، والحنابلة ومذهب الشَافعيَة في القديم، والأوزاعيَ إلى وجوب الاستماع والإنصات، وهو ما ذهب إليه عثمان بن عفَان، وعبد الله بن عمر، وابن مسعود، حتى قال الحنفيَة: كلَ ما حرم في الصَلاة حرم في الخطبة، فيحرم أكلٌ، وشربٌ، وكلامٌ، ولو تسبيحاً، أو ردَ سلام، أو أمراً بمعروف، أو نهياً عن منكر، وذهب الشَافعيَة إلى أنَ الاستماع والإنصات أثناء الخطبة سنَةٌ، ولا يحرم الكلام، بل يكره، وحكى ذلك النَوويَ عن عروة بن الزَبير، وسعيد بن جبير، والشَعبيَ، والنَخعيَ، والثَوريَ، وهو روايةٌ عن الإمام أحمد. (الموسوعة الفقهية الكويتية: ٩٧/٥).

وبالغ البعض فادعى الإجماع قال ابن عبد البر: (لا خلاف بين فقهاء الأمصار في وجوب الإنصات للخطبة على من سمعها)، لكنه ذكر بعد ذلك أن هناك خلافاً لبعض المتأخرين فلعله لم يعده خلافاً معتبراً لمخالفته النصوص، واعتذر عنهم بعدم بقوله: وأحسن أحوالهم أن يقال إنهم لم يبلغهم الحديث في ذلك لأنه حديث انفرد به أهل المدينة ولا علم لمتقدمي أهل العراق به. (انظر الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار ١٦/٢).

واستدل جمهور الفقهاء بأدلة منها:

قوله تعالى: « وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » الأعراف (٢٠٤).

قال البهوتي: (ويحرم الكلام في الخطبتين والإمام يخطب ولو كان الإمام غير عدل لقوله تعالى وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) كشاف القناع: ٤٧/٢.

قال بعض العلماء: المراد بذلك الخطبة وعُبِّر عن الخطبة بالقرآن لأنه يُكثر فيها قراءة الآيات وهذا محل نزاع ، وحتى على القول الآخر بأن الآية نزلت في الصلاة ، فإنها تشمل بعمومها الخطبة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (إذا قلت لصاحبك: أنصت، يوم الجمعة والإمام يخطب فقد لغوت) أخرجه الجماعة.

قال الإمام الترمذي: والعمل عليه عند أهل العلم، كرهوا للرجل أن يتكلم والإمام يخطب والحديث دليل على طلب الإنصات في الخطبة، فإذا كان الذي يقول للمتكلم: أنصت - وهو في الأصل يأمر بمعروف - قد لغا، وهو منهي عن ذلك، فغير ذلك من الكلام من باب أولى. قال ابن رشد عن الإنصات في الخطبة: (وأما من لم يوجبه فلا أعلم لهم شبهة إلا أن يكونوا يرون أن هذا الأمر قد عارضه دليل الخطاب في قوله تعالى: وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا. أي أن ما عدا القرآن فليس يجب له الإنصات، وهذا فيه ضعف والله أعلم، والأشبه أن يكون هذا الحديث لم يصلهم). (بداية المجتهد ١/١٣١).

والمراد أنه يحرم ثواب الجمعة، وليس المراد أن جمعته لا تصح.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: جلس النبي -صلى الله عليه وسلم- يوماً على المنبر فخطب الناس وتلا آية، والى جنبي أبيّ، فقلت له: يا أبيّ، متى أنزلت هذه الآية؟ فأبى أن يكلمني، ثم سألته فأبى أن يكلمني، حتى نزل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال له أبيّ: مالك من جمعتك إلا ما لغيت. فلما انصرف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جئته فأخبرته، فقال:(صدق أبيّ، فإذا سمعت إمامك يتكلم فأنصت حتى يفرغ) (رواه أحمد واختلف في تصحيحه).

واحتج الشافعية بالأحاديث الصحيحة المشهورة أن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم في خطبته يوم الجمعة مرات وبحديث أنس قال " دخل رجل المسجد ورسول الله صلي الله عليه وسلم يخطب على المنبر يوم الجمعة فقال يا رسول الله متى الساعة؟ فأشار إليه الناس أن اسكت؛ فسأله ثلاث مرات كل ذلك يشيرون إليه أن اسكت. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ويحك! ما أعددت لها؟" رواه البيهقي بإسناد صحيح (انظر خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام للنووي ٢/٨٠٦).

وعن أنس أيضا قال: "بينما النبي صلي الله عليه وسلم يخطب في يوم الجمعة قام أعرابي فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه وذكر حديث الاستسقاء" رواه البخاري ومسلم.

وأجابوا عن الآية أنها محمولة على الاستحباب؛ جمعًا بين الأدلة، هذا إن سلمنا أن المراد الخطبة وأنها داخلة في المراد وعن الحديث الأول أن المراد باللغو الكلام الفارغ ومنه لغو اليمين وعن حديث أبي الدرداء أن المراد نقص جمعته بالنسبة إلى الساكت. (انظر المجموع للنووي ٤/٥٢٥).

والرأي الراجح رأي جمهور الفقهاء لقوة أدلتهم، وأن الأحاديث التي احتج بها الشافعية إنما هي مستثناة من عموم النهي كما سيأتي.

ويستثنى من وجوب الإنصات حالات منها:

من لا يسمع الإمام لبعد أو صمم أو نحو ذلك، فإنه يجوز له أن يشتغل بذكر الله ودعائه دون أن يشوش على غيره، وقال ابن قدامة: (للبعيد أن يذكر الله تعالى ويقرأ القرآن ويصلي على النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا يرفع صوته قال أحمد: لا بأس أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فيما بينه وبين نفسه رخص له في القراءة والذكر عطاء وسعيد بن جبير والنخعي والشافعي) (المغني ٢/١٦٥).

ولما روى عبد الرزاق في مصنفه عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: كنت لا أسمع الإمام، أسبح وأهلل وأدعو الله لنفسي ولأهلي وأسميهم بأسمائهم؟ قال: نعم.

من كلم الإمام في حاجة أو كلمه الإمام: قال ابن القيم: (وكان يقطع خطبته للحاجة تعرض، أو السؤال من أحد من أصحابه فيجيبه ثم يعود إلى خطبته فيتمها) (زاد المعاد في هدي خير العباد ٤١١/١)، ومن ذلك حديث سليك الغطفاني وغيرهم أنه دخل يوم الجمعة والنبي -صلى الله عليه وسلم- يخطب، فقال: صليت؟ قال: لا. قال: (قم فصل ركعتين). رواه الجماعة. ولحديث عمر مع عثمان في الغسل، وقد تقدم.

ولحديث أنس: أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة والنبي -صلى الله عليه وسلم- قائم يخطب، فقال: يا رسول الله ! هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، فرفع يديه ثم قال: اللهم أغثنا، اللهم أغثنا. متفق عليه.

الكلام الواجب على المصلي: لإنقاذ حياة إنسان كأن يكون أعمى فيحذره من السقوط في بئر أو من حية أو حريق ونحو ذلك. وينبغي أن يكون من ذلك الكلامُ لإنقاذ مال ذي بال.

إذا خرج الإمام عن الجادة في خطبته كأن تكلم بالباطل أو مدح من لا يجوز مدحه أو ذم من لا يجوز ذمه ونحو ذلك لم يجب على المأموم أن ينصت، وجاز له الكلام، وكان سعيد بن جبير والنخعي والشعبي وابراهيم ابن المهاجر وأبو بردة يتكلمون والحجاج يخطب ويقولون: إنا لم نؤمر أن ننصت لهذا. وبه قال ابن حبيب واللخمي وابن العربي والدسوقي من المالكية" (انظر: التاج والإكليل للمواق ٥٥٠/٢، وحاشية الدسوقي ٦١٥/١).

٤. الكلام الواجب عليه لإنقاذ حياة إنسان كأن يكون أعمى فيحذره من السقوط في بئر أو من حية أو حريق ونحو ذلك. وينبغي أن يكون من ذلك الكلامُ لإنقاذ مال ذي بال. (المغني ١٦٨/٢).

أما تشميت العاطس ورد السلام ففيه خلاف، قال الترمذي في سننه عقب حديث أبي هريرة السابق: اختلفوا في رد السلام وتشميت العاطس، فرخص بعض أهل العلم في رد السلام وتشميت العاطس والإمام يخطب، وهو قول أحمد وإسحاق، وكره بعض أهل العلم من التابعين وغيرهم ذلك، وهو قول الشافعي.

والراجح المنع، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- منع من أمر اللاغي بالإنصات، وهو أمر بمعروف واجب، فهذا مثله، والمنع هو قول مالك والأوزاعي وأصحاب الرأي وإحدى الروايتين عن أحمد، وأخرج مالك في الموطأ عن سعيد بن المسيب أنه كان ينهى عن تشميت العاطس في الخطبة (تنوير الحوالك ١٢٦).

والكلام الممنوع إنما هو في وقت الخطبة خاصة أما قبل بدء الخطبة فيجوز الكلام ولو جلس الإمام على المنبر، وكذلك إذا أنهى الإمام خطبته فيجوز الكلام قبل الصلاة. فقد روى مالك في الموطأ عن ثعلبة القرظي أنهم كانوا في زمان عمر بن الخطاب يصلون يوم الجمعة حتى يخرج عمر، فإذا خرج وجلس على المنبر وأذن المؤذنون جلسنا نتحدث، فإذا سكت المؤذنون وقام عمر يخطب أنصتنا فلم يتكلم منا أحد. قال ابن شهاب: فخروج الإمام يقطع الصلاة، وكلامه يقطع الكلام) (تنوير الحوالك ١٢٥).

وهذا مذهب عطاء وطاووس وبكر المزني والنخعي والشافعي وأحمد وإسحاق ويعقوب ومحمد وروي ذلك عن ابن عمر. وهل يحرم الكلام بين الخطبتين ؟ ذكر في المغني (٢٠٠/٣) احتمالين، ونسب القول بالجواز إلى الحسن، والقول بالمنع إلى مالك والشافعي والأوزاعي وإسحاق. واختلف الفقهاء أيضا في إنصات من لا يسمع الخطبة وقد يستدل بهذا الحديث على إنصاته لكونه عقله بكون الإمام يخطب وهذا عام بالنسبة إلى سماعه وعدم سماعه.

والحمد لله رب العالمين.

فقه المرأة المسلمة

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعدُ: فقد انتهينا بفضل الله تعالى من فقه النكاح، ونبدأ بإذن الله تعالى في فقه الطلاق، سائلين الله عز وجل أن يتقبل جهد المقل وأن ينفع به المسلمين.

أولاً: تعريف الطلاق:

الطلاق في اللغة: التخلية، يقال: طلقت الناقة، إذا سرحت حيث شاءت، والإطلاق: الإرسال. يقال طلق الرجل امرأته تطليقًا فهو مطلق فإن كثر تطليقه للنساء قيل مطليق ومطلاق، والاسم: الطلاق. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٣٧٦).

الطلاق في الشرع:

عرفه الحنفيه بأنه: رفع الحل الذي به صارت المرأة محلاً للنكاح إذا تم العدد ثلاثا. المبسوط للسرخسي (٦/ ٢).

وعرفه المالكية بأنه: صفة حكمية ترفع حلية متعة الزوج بزوجته موجبًا تكررها مرتين للحر ومرة لذي رق حرمتها عليه قبل زوج. مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (٤/ ١٨).

وعرفه الشافعية بأنه: حل عقد النكاح بلفظ الطلاق ونحوه. أسنى المطالب في شرح روض الطالب (٣/ ٢٦٣).

وعرفه الحنابلة بأنه: حل قيد النكاح أو بعضه. الروض المربع لمنصور البهوتي (٣/١٤٣).

ثانيا: مشروعية الطلاق:

الطلاق مشروع بالكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب: فقوله تعالى: «ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ» (البقرة: ٢٢٩)، وقوله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ» (الطلاق: ١).

أما السنة: فما روى ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله صلى الله علي وسلم فسأل عمرُ رسول الله صلى الله علي وسلم عن ذلك، فقال له رسول الله صلى الله علي وسلم: «مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا ثُمَّ لِيُمْسِكْهَا حَتَّى تَطْهُرَ ثُمَّ تَحِيضَ ثُمَّ تَطْهُرَ ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَمْسَكَ بَعْدُ، وَإِنْ شَاءَ طَلَّقَ قَبْلَ أَنْ يَمَسَّ، فَتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّه أَنْ تُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ» أخرجه البخاري (٥٢٥١)، ومسلم (١٤٧١) وغيرهما.

أما الإجماع:

فقد أجمع الناس: على جواز الطلاق، والعبرة دالة على جوازه، فإنه ربما فسدت الحال بين الزوجين فيصير بقاء النكاح مفسدة محضة وضررًا مجردًا بإلزام الزوج النفقة والسكنى، وحبس المرأة مع سوء العشرة والخصومة الدائمة من غير فائدة، فاقتضى ذلك شرع ما يزيل النكاح لتزول المفسدة الحاصلة منه- المغني (٧/٦٦).

ثالثا: أقسام الطلاق:

أولاً: طلاق السُّنة: هو الطلاق الذي وافق أمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم في الآية والحديث المذكورين.

قال ابن قدامة: ولا خلاف في أنه إذا طلقها في طهر لم يصبها فيه، ثم تركها حتى تنقضي عدتها - أنه مصيب للسنة مطلق للعدة التي أمر الله بها. قاله ابن عبد البر وابن المنذر.

وقال ابن مسعود: طلاق السنة أن يطلقها من غير جماع، وقال في قوله: «فطلقوهن لعدتهن» (الطلاق: ١)، قال: طاهرًا من غير جماع، ونحوه عن ابن عباس. المغني (٧/٦٦).

ثانيًا: طلاق البدعة: أن يطلق الرجل زوجته وهي حائض أو يطلقها في طهر قد جامعها فيه.

رابعًا: حكم الطلاق البدعي:

لا خلاف بين أهل العلم على تحريم طلاق البدعة.

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٣٣/٧١): فأما الطلاق المحرم مثل أن يطلقها في الحيض أو يطلقها بعد أن يطأها وقبل أن يبين حملها، فهذا الطلاق محرم باتفاق العلماء.

قال ابن قدامة في المغني (٧/٦٧): أما المحظور فالطلاق في الحيض أو في طهر جامعها فيه، أجمع العلماء في جميع الأمصار وكل الأعصار على تحريمه، ويسمى طلاق البدعة؛ لأن المطلق خالف السنة وترك أمر الله تعالى ورسوله، قال تعالى: «فطلقوهن لعدتهن».

خامسًا: هل يقع طلاق البدعة؟

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: ذهب جمهور الفقهاء: أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد إلى وقوع طلاق البدعة.

وحجتهم في ذلك: عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأل عمر رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا ثُمَّ لِيُمْسِكْهَا حَتَّى تَطْهُرَ ثُمَّ تَحِيضَ ثُمَّ تَطْهُرَ ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَمْسَكَ بَعْدُ، وَإِنْ شَاءَ طَلَّقَ قَبْلَ أَنْ يَمَسَّ، فَتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ تُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ» أخرجه البخاري (٥٢٥١)، ومسلم (١٤٧١) وغيرهما.

وجه الدلالة: دل قوله صلى الله عليه وسلم: «مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا...» على أن الطلاق واقع، لأن الرجعة تكون بعد الطلاق.

القول الثاني: ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن حزم إلى أن الطلاق البدعي لا يقع.

وحجتهم في ذلك:

أن النكاح المحرم لا يقع، والبيع المحرم لا يقع، فكذلك الطلاق المحرم البدعي لا يقع.

عن أيمن مولى عروة يسأل ابن عمر وأبو الزبير يسمع، قال: كيف ترى في رجل طلق امرأته حائضا؟ قال: طلق عبد الله بن عمر امرأته وهي حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأل عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن عبد الله بن عمر طلق امرأته وهي حائض، قال: «فردَّها عليَّ ولم يرها شيئًا» - رواه أبو داود (٢/٦٣٧) وغيره.

صوب مسلم رواية (مولى عزة) وليس مولى عروة.

أقوال أهل العلم في زيادة ولم يرها شيئًا:

قال أبو داود في السنن (٢/٦٣٧): عقب إخراجه الحديث على زيادة «ولم يرها شيئا»: روى هذا الحديث عن ابن عمر يونس بن جبير وأنس بن سيرين وسعيد بن جبير وزيد بن أسلم وأبو الزبير ومنصور عن أبي وائل، معناهم كلهم: أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يراجعها حتى تطهر ثم إن شاء طلق وإن شاء أمسك، وكذلك رواه محمد بن عبد الرحمن عن سالم عن ابن عمر.

أما رواية الزهري عن سالم ونافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء طلق وإن شاء أمسك، وروي عن عطاء الخراساني عن الحسن عن ابن عمر نحو رواية نافع والزهري، والأحاديث كلها على خلاف ما قال أبو الزبير.

قال الخطابي في معالم السنن مع سنن أبي داود (٢/٦٣٦): حديث يونس بن جبير أثبت من هذا، وقال أبو داود: جاءت الأحاديث كلها بخلاف ما رواه أبو الزبير، وقال أهل الحديث: لم يرو أبو الزبير حديثا أنكر من هذا، وقد يحتمل أن يكون معناه أنه لم يرها شيئًا باتًا يحرم معه المراجعة ولا تحل له إلا بعد زوج، أو لم يره شيئًا في السنة ماضيًا في حكم الاختيار، وإن كان لازمًا على سبيل الكراهة، والله أعلم.

جاء في سنن البيهقي (٧/٣٢٧): قال الشافعي: ونافع أثبت عن ابن عمر من أبي الزبير، والأثبت من الحديثين أولى أن يقال به إذا خالفه، قال:

وقد وافق نافع غيره من أهل التثبت في الحديث، فقيل له: أحسبت تطليقة ابن عمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تطليقة؟ قال: فمه؟ وإن عجز؛ يعني: أنها حسبت، والقرآن يدل على أنها تحسب، قال تعالى: «الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان» (البقرة: ٢٢٩)، لم يخصص طلاقا دون طلاق، ثم ساق الكلام إلى أن قال: وقد يحتمل أن يكون لم تحسب شيئًا صوابًا غير خطأ، كما يقال للرجل: أخطأ في فعله، وأخطأ في جواب أجاب به: لم يصنع شيئًا، يعني: لم يصنع شيئا صوابًا.

وفي الفتح (٣٥٤/٩): قال ابن عبد البر: قوله: «ولم يرها شيئًا» منكر لم يقله غير أبي الزبير وليس بحجة فيما خالفه فيه مثله، فكيف بمن هو أثبت منه، ولو صح فمعناه عندي - والله أعلم - ولم يرها شيئًا مستقيمًا؛ لكونها لم تقع على السنة. انتهى

عن نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر أنه قال في الرجل يطلق امرأته وهي حائض، قال ابن عمر: لا يعتد لذلك- هكذا أورده ابن حزم في المحلى (١٦٣/١٠) وابن القيم - نقلا عنه - في زاد المعاد (٢٢١/٥).

وزعما - بسببه مع غيره - أن الخلاف معلوم الثبوت عن المتقدمين والمتأخرين، فالخلاف وإن كان موجودا إلا أنه لا يكاد يذكر.

وقد أخرجه ابن أبي شيبة من نفس الطريق في المصنف (٥/٥): نا عبد الوهاب الثقفي عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر في الذي يطلق امرأته وهي حائض، قال: لا تعتد بتلك الحيضة.

ويناقش: بأن هذا الأثر لا يصلح لإنشاء خلاف بين السلف، ولا القول بأنه دبَّ نزاع بين السلف في مسألة احتساب تطليق الحائض.

أقوال أهل العلم في المسألة:

أولاً: القائلون بوقوع الطلاق البدعي:

قال ابن الهمام الحنفي في فتح القدير (٤٦١/٣): وإذا طلق الرجل امرأته في حالة الحيض وقع الطلاق؛ لأن النهي عنه لمعنى في غيره وهو ما ذكرناه فلا ينعدم مشروعيته، ويستحب له أن يراجعها لقوله r: «مُرْهُ فلْيُراجعْهَا»، وقد طلقها في حالة الحيض.

جاء في الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١٨٧/٥): وينهى أن يطلق في الحيض، فإن طلق لزمه ويجبر على الرجعة ما لم ينقض العدة، والتي لم يدخل بها يطلقها متى شاء.

قال الشيرازي في شرح المهذب (٢١٦/١٨): بعد أن ساق حديث الباب... قال: لأنه إذا طلقها في الحيض أضر بها في تطويل العدة، وإذا طلقها في الطهر الذي جامعها فيه قبل أن يستبين الحمل لم يأمن أن تكون حاملاً فيندم على مفارقتها مع الولد، ولأنه لا يعلم هل علقت بالوطء فتكون عدتها بالحمل أو لم تعلق فتكون عدتها بالأقراء... إلى أن قال: وإن طلقها في الحيض أو الطهر الذي جامع فيه وقع الطلاق؛ لأن ابن عمر رضي الله عنهما طلق امرأته وهي حائض فأمره النبي r أن يراجعها فدل ذلك على أن الطلاق وقع.

وفي المغني (٦٨/٧): قال ابن قدامة: فإن طلق للبدعة وهو أن يطلقها حائضا أو في طهر أصابها فيه: أثم ووقع طلاقه في قول عامة أهل العلم.

ثانيًا: المانعون من وقوع الطلاق البدعي:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٧١/٣٣): الطلاق المحرم في الحيض وبعد الوطء: هل يلزم؟ فيه قولان للعلماء، والأظهر أنه لا يلزم كما لا يلزم النكاح المحرم والبيع المحرم.

قال ابن حزم في المحلى (٣٦٣/٩): فإن طلقها طلقة أو طلقتين في طهر وطئها فيه أو في حيضتها، لم ينفذ ذلك الطلاق، وهي امرأته كما كانت. وإلى القول بمنع وقوع الطلاق البدعي ذهب ابن القيم في زاد المعاد (١٩٥/٥-٢١٣)؛ فقد ساق أدلة كل فريق في المسألة، وانتصر لرأيه بشدة.

تعقيب وترجيح

والذي يظهر لي - بعد عرض أقوال أهل العلم في المسألة - رجحان قول جمهور العلماء بوقوع طلاق البدعة لحديث ابن عمر؛ لأن منطوق ومفهوم كلمة «فلْيُراجعْهَا» هو رجوع الزوجة إلى زوجها بعد وقوع طلاق، وهذا ما فهمه عامة أهل العلم -منهم الأئمة الأربعة-

والله تعالى أعلم.

مصر المحروسة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فمما لا شك فيه أن الناس يختلفون في طبائعهم وأفهامهم، وفيما يقبلون ويرفضون ويعارضون، وفيما يجتهدون فيه، وهذه سُنة الله في الخلق، ومن هنا ينشأ الاختلاف والاعتراض والإنكار، وهذا أيضًا لا غُبار عليه، إنما المرفوض هنا هو الهدف من المعارضة إذا كان قاصرًا على تجريح الناس وإحراجهم، وتلمُّس زلاتهم، وتتبع عوراتهم، وتمنِّي فشلهم وإخفاقهم، والشماتة فيهم، والانتقام منهم ولو على حساب تخريب الأوطان وهدم البنيان وقتل الأبرياء. والمرفوض أيضًا الطريقة التي يعبر بها الإنسان عن اعتراضه إذا كانت خارجة عن حدود الأدب الرفيع والهدف النبيل، واحترام الآخرين، وعليه فالمطلوب النقد الهادف الذي يبني ولا يهدم.

إعداد: د. جمال عبد الرحمن

ومصر العظيمة آمنة محروسة بقول الله تعالى: "ادْخلوا مصْرَ إنْ شاءَ اللَّه آمنِينَ" (يوسف: ٩٩). ويقول رسولنا صلى الله عليه وسلم: "... فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا...". صحيح مسلم.

مصر الحبيبة مرت وتمر بمرحلة من أخطر المراحل في تاريخها، فبعد أن مرت البلاد بفترات عصيبة وظروف حرجة من الفوضى اللاأخلاقية؛ التي لا يرضاها أهل العقد والحكمة، وقد نجا الله تعالى من هذه الفوضى ونحن على كل حال لا نرضى أن تقع مصرنا المحروسة في أي من أنواع الفوضى، ونقف صفًا واحدًا أمام من يريدون بها وبأهلها شرًا، أو من يريدون لها أن ترجع إلى الخلف، فلا بد أن تكون لغة الحوار مبنية على الفهم الصحيح البعيد عن الوقوع في الفتنة وبذل النصيحة للجميع بعيدًا عن لغة التجريح والهدم.

وقد ذكر القرآن الكريم إنكار الهدهد على عبدة الشمس من دون الله فقال تعالى عن الهدهد الذي خطب النبي سليمان عليه السلام بقوله: "إني وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ× وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّه وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ" (النمل ٢٣-٢٤).

وأنكر الخليل إبراهيم عليه السلام على أبيه عبادة الأصنام فقال: " يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا" (سورة مريم: ٤٢).

فهذا هو الأدب في المعارضة رغم فظاعة الأمر المنكر.

فينبغي أن يكون المُعارض حسن المعارضة، بحيث يوصف أصحابها أنهم هيئة الإصلاح والبناء والتعمير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وجاء في ترجمة يحيى بن أكثم التَّميميَ، يقول العلماء: كان واسع العلم بالفقه، كثير الأدب، حَسَن المعارضة، قائمًا لكل مُعْضَلَة، حتى كانت الوزراء لا تعمل في تدبير المُلْك شيئًا إلا بعد مطالعة يحيى. (تاريخ الإسلام: ١٨/ ٥٣٧).

وقد عَبر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن المعارضة عند رؤية المنكر، فقال

صلى الله عليه وسلم: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ» (صحيح مسلم١/٦٩).

وقد قام كثير من أصحابه بالتزام هذا الأمر بالضوابط الشرعية بالعلم والأدب، ومن كان يتجاوز حده في هذا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يوقفه عند حده، ويبين له تجاوزه وخطأه.

فعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ حِمْيَرَ رَجُلًا مِنَ الْعَدُوِّ، فَأَرَادَ سَلَبَهُ، فَمَنَعَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهِمْ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لِخَالِدٍ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَهُ سَلَبَهُ؟» قَالَ: اسْتَكْثَرْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «ادْفَعْهُ إِلَيْهِ»، فَمَرَّ خَالِدٌ بِعَوْفٍ، فَجَرَّ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ أَنْجَزْتُ لَكَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتُغْضِبَ، فَقَالَ: «لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ، لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي أُمَرَائِي؟ إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتُرْعِيَ إِبِلًا، أَوْ غَنَمًا، فَرَعَاهَا، ثُمَّ تَحَيَّنَ سَقْيَهَا، فَأَوْرَدَهَا حَوْضًا، فَشَرَعَتْ فِيهِ فَشَرِبَتْ صَفْوَهُ، وَتَرَكَتْ كَدْرَهُ، فَصَفْوُهُ لَكُمْ، وَكَدْرُهُ عَلَيْهِمْ». (صحيح مسلم ٣/ ١٣٧٣).

وإذا كانت المعارضة في أمر الشعوب ومصالحهم وشئون حياتهم فينبغي أن تكون إثراء لها وليس هدمًا لأركانها، وعندها ستسمع الدولة لأصوات العقل وباذلي النصيحة. قال صلى الله عليه وسلم: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ». (صحيح مسلم ١/ ٧٤).

الإنصاف حين المعارضة:

قَالَ عَمَّارٌ: "ثَلاَثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ: الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ السَّلاَمِ لِلْعَالَمِ، وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ". (صحيح البخاري ١/ ١٥).

والتحلي بصفة الإنصاف، وسلوك درب المنصفين يلزم معه التأدب بآداب خاصة، وقد التزم بها أهل السنة والجماعة، وعلى من يسير على منهجهم أن يتأدب بتلك الآداب، وأهمها:

١- التجرد وتحسين النية والألفاظ عند الكلام على المخالفين:

وذلك أنه قد تلتبس المقاصد عند الكلام عن المخالفين، فهناك من يتكلم على مخالفيه بقصد حب الظهور، وقصد التشفي والانتقام، وقصد الانتصار للنفس أو للطائفة التي ينتمي إليها الناقد. قيل في هذا المعنى:

تقول هذا جنى النحل تمدحـــه
وإن تشأ قلت: ذا قيء الزنابير
مدحا وذمًا وما جاوزت وصفهما
والحق قد يعتريه سوء تعبيـر

٢- التبين والتثبت قبل إصدار الأحكام:

وذلك امتثالا لقول الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ" (الحجرات: ٦)، وقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا" (النساء: ٩٤).

والتبين والتثبت من خصائص أهل الإيمان، قال الحسن البصري رحمه الله: «المؤمن وقاف حتى يتبين»، وقال الإمام محمد التميمي رحمه الله: «ومتى لم يتبين لكم المسألة لم يحل لكم الإنكار على من أفتى أو عمل حتى يتبين لكم خطؤه، بل الواجب السكوت والتوقف».

٣- حمل الكلام على أحسن الوجوه، وإحسان الظن:

فالواجب على المسلم أن يحسن الظن بكلام أخيه المسلم، وأن يحمل العبارة المحتملة محملًا حسنًا. فقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على إحسان الظن بالمسلم حين قال وهو يطوف بالكعبة: «ما أطيبك وأطيب ريحك!، وما أعظمك وأعظم حرمتك!، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ماله ودمه، وأن لا يظن به إلا خيرًا».

وقال سعيد بن المسيب: كتب إلي بعض إخواني من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرًا وأنت تجد لها في الخير محملًا».

وقد علّمنا ذلك رسولنا الكريم صلّى الله عليه وسلّم حينما قتل أسامة بن زيد رجلا مشركا بعد أن قال: لا إله إلّا الله، فلمّا علم صلّى الله عليه وسلّم أنكر ذلك عليه إنكارًا شديدًا، فقال أسامة: إنّما قالها متعوّذا -يعني خائفًا من السيف-. فقال صلّى الله عليه وسلّم: «هلّا شققت عن قلبه؟»(. (نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم بتصرف٣/ ٥٨٤).

٤- ألا ينشر سيئات المخالف ويدفن حسناته:

فقد ذكر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم عمر بحسنات حاطب فقال: «وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» صحيح مسلم.

فكون حاطب من أهل بدر ترفعه، ويذكر له في مقابل خطئه الفاحش، ولذا غفر له خطؤه.

٥- النقد يكون للرأي وليس لصاحب الرأي:

بمعنى: انتقد الرأي دون تجريح صاحب الرأي، فالنّقد الموضوعيّ هو الّذي يتجه إلى الموضوع ذاته وليس إلى صاحبه. وكان الرّسول صلّى الله عليه وسلّم إذا حدث خطأ من أحد أصحابه أو بعضهم. لا يسمّيهم غالبًا وإنّما يقول: «ما بال أقوام»، «ما بال رجال».

٦- الامتناع عن المعارضة والمجادلة المفضية إلى النزاع:

وقد حذّر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم من الجدل المفضي إلى الخصومة فقال: «إنّ أبغض الرّجال إلى الله الألدّ الخصم» صحيح مسلم. وقال ابن عبّاس رضي الله عنهما: «لا تمار أخاك فإنّ المراء لا تفهم حكمته، ولا تؤمن غائلته». وقال مالك بن أنس: «المراء يقسّي القلوب، ويورث الضّغائن».

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم واصفًا أهل الجدل العقيم الّذي لا يُنتج إلا الضّغينة والأحقاد بأنهم على ضلال في نقدهم ومعارضتهم فقال: «ما ضلّ قومٌ بعد هدًى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»، ثمّ تلا رسول اللهصلى الله عليه وسلم هذه الآية: «ما ضربوهُ لك إلا جدلا بل هم قومٌ خصمُون» (الزخرف: ٥٨) ". الترمذي، وقال: هذا حديث حسنٌ صحيحٌ.

ضوابط الشكوى

قد يشكو الناس الفقر والغلاء، لكن لا ينبغي أن ينقلب ذلك إلى جزع وافساد في الأرض، وركوب سبيل المجرمين المخربين. كثرة الشكوى وبث الجزع ليست من جميل الصبر. فقد قيل في قوله تعالى: «فاصبر صبرًا جميلا» (المعارج: ٥). إنه الصّبر الّذي لا شكوى فيه ولا بث. روى أنس بن مالك أنّ النّبيّ - صلى الله عليه وسلم - قال: «ما صبر من بث».

وقد قيل في منثور الحكم: "من ضاق قلبه اتّسع لسانه. وأنشد بعضهم: لا تكثر الشكوى إلى الصّديق ... وارجع إلى الخالق لا المخلوق...لا يخرج الغريق بالغريق(. (أدب الدنيا والدين ص: ٢٩٨).

والصّبر: حبس النّفس عن الشكوى، وهو أيضا من أصعب المنازل على العامّة وأوحشها في طريق المحبّة وأنكرها في طريق التّوحيد. (منازل السائرين ص: ٤٩).

وجملة أدب المريض حسن الصّبر وقلّة الشّكوى والضجر والفزع إلى الدّعاء والتّوكل بعد الدّواء على خالق الدّواء. (إحياء علوم الدين ٢/ ٢١٠).

الشكوى تندفع بأن يظهر الشكر لله والاستغناء عن الخلق ولا يسأل سؤال محتاج (إحياء علوم الدين ٤/ ٢١٢).

وقد كان السّلف يكرهون الشّكوى إلى الخلق والشّكوى وإن كان فيها راحة إلا أنها تدل على ضعف وذل، والصّبر عنها دليل على قوّة وعز.

ولمثيري الشغب والداعين الناس إلى التمرد والتظاهر والتخريب، أقول لهم إن كانوا يعظمون الشرع: انظروا إلى كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ينصح صاحبه أبا ذر عند المجاعة. عن أبي ذرّ، قال: ركب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حمارًا وأردفني خلفه، وقال: "يا أبا ذرّ، أرأيت إن أصاب النّاس جوعٌ شديدٌ لا تستطيعُ أن تقوم من فراشك إلى مسجدك، كيف تصنعُ؟ " قال: الله ورسوله أعلم. قال: "تعفّفْ ". مسند أحمد (صحيح).

، وعن أبي سعيد الخدريّ: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: " من تغنّى أغناه الله، ومن تعفّف أعفّه الله ". مسند أحمد (١٧/ ٤٢).

حفظ الله مصر وجميع بلاد المسلمين من كيد الفجار، وممن تآمر عليها في ليل أو نهار. والحمد لله الواحد القهار.

قصة «لو كان بعدي نبيّ»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فنواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت على ألسنة القُصّاص والوعاظ والى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

إعداد **الشيخ علي حشيش**

أولاً: أسباب ذكر هذه القصة:

١) وجود هذه القصة في بعض كتب السنة الأصلية-كما سنبين من التخريج- يجعل من لا دراية له بالتحقيق وعلل الحديث يتوهم أن هذه القصة صحيحة.

٢) لا نزال نواصل تحقيق الغاية من هذه السلسلة: «تحذير الداعية من القصص الواهية» لتعم الفائدة:

أ) فالقارئ الكريم: يقف على درجة القصة.

ب) والداعية: يكون على حذر، ويسلم له عمله على السُّنة وحدها.

ج) وطالب هذا الفن: يجد نماذج من علم الحديث التطبيقي.

٣) من أجل هذا سنطبق من خلال تخريج وتحقيق هذه القصة هذه القاعدة التي ذكرها الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» ص (٣٣) فقال: «قال الشيخ أبو عمرو: لا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة أن يكون حسنًا؛ لأن الضعف يتفاوت؛ فمنه ما لا يزول بالمتابعات يعني لا يؤثر كونه تابعًا أو متبوعًا؛ كرواية الكذابين والمتروكين». اهـ.

قلت: وهذه قاعدة مهمة جدًّا في الصناعة الحديثية؛ حيث يتوهم الكثير أن الحديث الضعيف إذا تعددت طرقه صار الحديث حسنًا لغيره، ولا يدري أن هذا ليس مطلقًا، ولكنه مقيد بالبحث في درجة الضعف في كل طريق كما هو مبين في القاعدة التي ذكرناها آنفًا والتي نقلها الحافظ ابن كثير عن الشيخ أبي عمرو عثمان بن الصلاح، ولذلك بالرجوع إلى «علوم الحديث» ص (١٠٧) نجد الحافظ ابن الصلاح ختمها لأهميتها في البحث بقوله: «وهذه جملة

تفاصيلها تُدرَك بالمباشرة والبحث، فاعلم ذلك فإنه من النفائس العزيزة». اهـ.

٤) ولا يعرف هذا إلا مَن الحديثُ صناعتُه، قال العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (٧٦٨/١٤) ح (٦٨٣٥). في تراجعه عن تحسين حديث «الأذان في أذن المولود». كلامًا تستبين به هذه النفائس العزيزة فقال: «إن من الآثار السيئة للتساهل وعدم إعطاء الحديث أو راوية حقه من النقد الصحيح، أنه قد لا يتيسر لبعض الباحثين الوقوف على إسناد الحديث الذي تساهل بعض المتقدمين في نقده فضعّفه، وهو شديد الضعف أو موضوع، فيعتمد الباحث على تضعيفه، ويستشهد به لحديث آخر ضعيف ويقوّيه، وهذا ما وقع للشيخ المباركفوري رحمه الله: فقوّى حديث أبي رافع في الأذان في أذن المولود بحديث أم الصبيان وهو موضوع، وعذره أنه اعتمد في أنه ضعيف على حكم البيهقي، ولم يتيسر له الوقوف على إسناده، وهذا مما لا ينجو منه أحد من كبار الحفاظ، فضلاً عن أمثالنا من المتأخرين فوقع في الخطأ الشنيع، وهو تقوية الضعيف بالموضوع الذي لا يجوز باتفاق العلماء».

٥) ثم قال الشيخ الألباني رحمه الله: «وقد وقع لي مثله: فقد كنت قويتُ أيضًا في: «الإرواء» (٤/٤٠٠- ٤٠١) حديث أبي رافع بحديث آخر اغترارًا أو ثقة بتضعيف البيهقي إياه: لأني لم أكن يومئذ اطلعت على إسناده، فلما وقفت عليه وجدت فيه (محمد بن يونس الكديمي) الكذاب، وغيره فتراجعت عن التقوية». اهـ.

٦) ثم قال العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (٢٧٢/١٣) ح (٦١٢١):

«فقد تراجعت عن التحسين وعاد حديث أبي رافع إلى الضعف، وهذا مثال من عشرات الأمثلة التي تضطرني إلى القول بأن العلم لا يقبل الجمود، وأنْ أستمر على البحث والتحقيق حتى يأتيني اليقين، والحمد لله رب العالمين». اهـ.

٧) هذه الأسباب تحتم علينا جمع الطرق وإعطاء الرواة حقهم من النقد حتى نقف على درجة الحديث بالتخريج والتحقيق.

ثانيا: المتن:

روي عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب».

ثالثا: التخريج:

الحديث أخرجه الإمام الترمذي في «السنن» ح (٣٦٨٦)، والحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٩٨/١٧) ح (٨٢٢)، والحاكم في المستدرك (٨٤/٣)، والحافظ الخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٢/٤٧٨/٤٧٣)، والإمام أحمد في «المسند» (١٥٤/٤) ح(١٧٤٣٩) عن أبي عبد الرحمن المقري، حدثنا حيوة، حدثنا بكر بن عمرو، عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر مرفوعًا.

رابعا: التحقيق:

١) هذا الحديث منكر، وعلته مشرح بن هاعان وهو أبو المصعب المعافري المصري: قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٨/٣): «مشرح بن هاعان يروي عن عقبة بن عامر أحاديث مناكير لا يُتابع عليها، والصواب في أمره ترك ما انفرد به من الروايات». اهـ.

قلت: وبتطبيق قول الإمام الحافظ ابن حبان على الراوي مشرح بن هاعان نجده ينطبق عليه تمام الانطباق:

أ) فقوله: «مشرح بن هاعان يروي عن عقبة بن عامر أحاديث مناكير».

ينطبق على هذا الحديث تمام الانطباق: لأنه من رواية (مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر) إذن فهذا الحديث من هذه المناكير، فهو حديث منكر.

ب) وقول الحافظ ابن حبان: «لا يُتابع عليها».

ينطبق أيضًا على هذا الحديث تمام الانطباق: حيث لا يوجد متابع يشارك مشرح بن هاعان في روايته عن عقبة بن عامر، ولذلك قال الإمام الترمذي عن حديث عقبة بن عامر هذا: «لا نعرفه إلا من حديث مشرح بن هاعان». اهـ.

ج) وبهذا يتحقق قول الإمام الحافظ ابن حبان في مشرح بن هاعان.

فقال: «والصواب في أمره ترك ما انفرد به من

الروايات». اهـ.

قلت: ونقل الحافظ ابن حجر قول الإمام الحافظ ابن حبان في «التهذيب» (١٤١/١٠) وأقره، وبهذا يكون هذا الحديث جمع بين (الترك) لانفراد مشرح بروايته وبين النكارة لأنه من رواية (مشرح عن عقبة).

٢) وقال الإمام الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٨١٣/٢٢٢/٤): «حدثنا محمد بن إسماعيل قال حدثنا الحسن بن علي، قال: حدثنا موسى بن داود، قال: بلغني أن مشرح بن هاعان، كان ممن جاء مع الحجاج ونصب المنجنيق على الكعبة». اهـ.

قلت: ونقل هذا الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (١٤١/١٠) عن العقيلي وأقره بل جزم به فقال: «وقد جزم بذلك ابن يونس في تاريخه». اهـ.

خامسًا: طريق آخر من حديث عصمة بن مالك:

١) هذا الحديث من هذا الطريق أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (١٨٠/١٧) ح(٤٧٥)، قال: حدثنا أحمد بن رشدين المصري، حدثنا خالد بن عبد السلام الصدفي، حدثنا الفضل بن المختار، عن عبد الله بن موهب عن عصمة بن مالك الخطمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب».

٢) لقد اتخذ بعض المحققين-عفا الله عنا وعنهم- من هذا الحديث شاهدًا، وعذره أنه اعتمد على قول الحافظ الهيثمي في «المجمع» (٦٨/٩): «رواه الطبراني، وفيه الفضل بن مختار، وهو ضعيف». اهـ.

ولم يبحث في درجة الضعف حتى يتبين له حال الراوي: أهو في مرتبة الاستشهاد أم في مرتبة الترك التي تزيد الحديث وهنًا على وهن.

٣) قلت: وبالبحث عن الراوي الفضل بن المختار: قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٦٩/٧): «سألت أبي عنه فقال: هو مجهول، وأحاديثه منكرة يحدث بالأباطيل». اهـ.

وقاول الأزدي: «منكر الحديث جدًا» كذا في «الميزان» (٣/٣٥٨/ ٦٧٥٠).

وقال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٤/٥٠٤/٥٥٥٦): «عصمة بن مالك له أحاديث أخرجها الدارقطني والطبراني وغيرهما، مدارها على الفضل بن المختار، وهو ضعيف جدًا». اهـ. فهو في مراتب الرد والترك.

٤) وشيخ الطبراني أحمد بن رشدين قال ابن عدي: كذبوه. كذا في «الميزان» (١/١٣٣/٥٣٨).

سادسًا: طريق ثان من حديث أبي سعيد الخدري:

١) هذا الطريق أورده الحافظ الهيثمي في «المجمع» (٩ /٦٨) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو كان الله باعثًا رسولاً بعدي لبعث عمر بن الخطاب».

ثم قال: «رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه عبد المنعم بن بشير وهو ضعيف». اهـ.

٢) ولقد اتخذ بعض المحققين حديث أبي سعيد شاهدًا، معتمدًا أيضًا على قول الهيثمي «وفيه عبد المنعم بن بشير وهو ضعيف» ولم يبحث في درجة ضعفه، والتي تستبين بأقوال أئمة الجرح والتعديل.

٣) ولقد نقل الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٨٨/٤) (٥٣٢٦/٩٧٥)، أقوال أئمة الجرح والتعديل في عبد المنعم بن بشير: فقال ابن حبان: «منكر الحديث جدًا». وجرحه ابن معين واتهمه، وعندما أتاه ابن معين وجد عنده مائتي حديث كذب وسأله ابن معين أنت سمعتها من أبي مودود؟ قال: نعم، قال له ابن معين: اتق الله: فإن هذا كذب وقام ولم يكتب عنه شيئًا. وقال الدارقطني: غير ثقة، وقال الحاكم: يروي الموضوعات، وقال الخليلي: وضاع على الأئمة، وقال الإمام أحمد: كذاب. اهـ. فهذه الطرق لا تصلح شاهدًا لتجعل الحديث الضعيف حسنًا لغيره، كما بينا في الأسباب التي ذكرناها آنفًا، بل تزيد الحديث وهنًا على وهن.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار
في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد **الشيخ علي حشيش**

(٩٧١) «إذا ختم العبد القرآن صلى عليه عند ختمه ستون ألف ملك».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (ص١١/٢) مكتبة الحرم النبوي «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧).

وقال: «فر من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده».

قلت: «فر» ترمز إلى «مسند الفردوس» للديلمي.

وهذا تخريج بغير تحقيق فيتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحديث صحيح، وهو كما سنبين أنه «موضوع».

فائدة:

«الموضوع: هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته في أي معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها، إلا مقرونًا ببيان وضعه». كذا في «تدريب الراوي» (٢٧٤/١) النوع (٢١) للإمام السيوطي، وقال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» ص (٤٤): «الطعن بكذب الراوي في الحديث النبوي هو الموضوع». اهـ.

وسنطبق هذا المصطلح على هذا الحديث من التخريج والتحقيق.

أولا: التخريج

فالحديث أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» ح(٣٥٣- الغرائب الملتقطة)، قال: أخبرنا والدي، أخبرنا عبد الملك بن عبد الغفار، أخبرنا أبو طالب عمر بن إبراهيم، حدثنا عبد الله بن الحسن بن سليمان حدثنا الحسن بن علي بن زفر، حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا يزيد بن زياد، حدثنا عبد الله بن سمعان عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده مرفوعًا.

ثانيًا: التحقيق:

هذا الحديث فيه علتان:

الأولى: عبد الله بن سمعان: قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٣٢٥٩/١٤٧/١٠): هو عبد الله بن زياد بن سليمان بن سمعان المخزومي أبو عبد الرحمن المدني؛ كذّبه مالك، وسئل عنه فقال: كان كذابًا، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه: سمعت إبراهيم بن سعد يحلف بالله لقد كان ابن سمعان كذابًا، وسئل يحيى بن معين عنه فقال: «كان كذابًا».

وقال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٧/٢): «كان ممن يروي عمن لم يره، ويحدّث بما لا يسمع»، وأخرج بسنده عن مالك قال: «كان كذابًا». اهـ.

العلة الثانية: الحسن بن علي بن زفر: قال الحافظ الخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٩١٠/٣٨١/٧) هو الحسن بن علي بن زكريا بن صالح بن عاصم بن زفر أبو سعيد العدوي البصري ثم نقل عن ابن عدي أنه قال: الحسن بن علي بن زفر يضع الحديث ويسرق الحديث ويلزقه على قوم آخرين، ويحدّث عن قوم لا يعرفون، وحدث عنهم عن الثقات بالبواطيل، ويضع على أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحدث عمن لم يرهم، ونقل عن الصيمري أنه قال: الحسن بن علي بن زفر كذاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقل. اهـ. فالحديث باطل موضوع.

نماذج تُحتذى من أعلام وأئمة أهل السنة

شهادات أئمة أهل السنة – سلفًا وخلفًا – بشأن عزو (الإبانة عن أصول الديانة) للأشعري

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول لله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فلطالما قلت وأقـول دائـمًـا: "إن مـن شأن المخالفين للمعتقد الصحيح للأشعري الذي ختم به حياته، أن يُنكروا كلامه الذي رجع إليه، وأن يشككوا في تآليفه التي يأتي على رأسها كتاب: (الإبـانـة) الـذي سجل فيه تراجعه لمذهب السلف ومعتقد أهل السنة، وأوضح فيه ما كان يعتنقه مؤخرًا، لأنهم لو سلموا بهذا، لكان في تسليمهم به اعتراف بمخالفتهم مذهب أهـل السنة ونقض لتأويلاتهم الباطلة ولمذاهبهم المنحرفة في التعطيل وذكـر السلوب، والتي هي أقرب لمذهب الجهم والمعتزلة منها إلى مذهب أهل الحق، بل بينها وبين الأخير بُعد المشرقين".

لـذا كـان مـن المهم أن نـذكـر مـا تيسر من شهادات السابقين من الأئمة الثقات العدول من جماعة أهل السنة وممن تبعهم، لعزو (الإبانة) للأشعري، لاسيما وقد عكف على تحرير المادة العلمية لهذا الكتاب عددٌ غير قليل من جهابذة المحققين.

أ.د. محمد عبد الحليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

١- شهادات أئمة أهل السنة بشأن عزو (الإبانة) للأشعري:

وحـول مـدى صحة نسبة هـذا الكتاب لصاحبه، وشهادة الأئمة الأعـلام لهذه النسبة، نذكر ممن شهد بهذا فيمن شهدوا:

١- الإمـام الصابوني ت٤٤٩، فقد ذكر له ابن عساكر في التبيين ص٣٨٩، أنه «ما كان يخرج إلى مجلس درسه إلا وبيده كتاب (الإبانة) لأبي الحسن الأشعري ويُظهر الإعجاب به، ويقول: (ما الذي يُنكر على مَن هذا الكتاب شرحُ مذهبه)»... يقول ابن عساكر عقب ذكره هذه الحكاية: «فهذا قول الإمام أبي عثمان، وهو من أعيان أهل الأثر بخراسان».

٢- والإمـام البيهقي ت٤٥٨؛ قال في كتابه (الاعتقاد) في باب القول في القرآن ص٨٥: «ذكر الشافعي ما دل على أن ما نتلوه من القرآن بألسنتنا ونسمعه بآذاننا ونكتبه في مصاحفنا يسمى: (كلام الله)، وأن الله كلم به عباده بأن أرسل به رسوله، وبمعناه ذكره أيضًا علي بن إسماعيل في كتاب (الإبانة)».

٣- وممـن شهد بعزو الإبـانـة للأشعري: الإمام أبو الفتح نصر المقدسي، ت٤٩٠ قال ابن درباس في كتابه (الذب عن أبي الحسن الأشـعـري): «وجـدت كتاب (الإبـانـة) في كتبه ببيت المقدس، ورأيت في بعض تآليفه في الأصول فصولاً منها بخطه».

٤- والإمــام الفقيه أبـو المعالي مُجلي، قاضي القضاة بالديار المصرية وصاحب كتاب (الذخائر) في الفقه ت٥٥٠، قال ابن درباس: «أنبأني غير واحـد عن الحافظ أبـي محمد المبـارك بن علي البغدادي، ونقلته أنا من خطه في آخر كتاب (الإبانة) قال: (نقلت هذا الكتاب جميعه من نسخة كانت مع الشيخ الفقيه المجلي الشافعي، أخرجها من مجلد فنقلتها وعارضتُ بها)، وكـان يعتمد عليها وعلى ما ذكره فيها، ويقول: (لله درُّ مَن صنفه!)، ويناظر على ذلك مَن ينكره، وذكر ذلك لي وشافهني به، قال: (هذا مذهبي وإليه أذهب، نقلت هذا

سنة ٥٤٠ بمكة)».

٥- والحافظ أبو محمد بن علي البغدادي نزيل مكة ت٥٦٢. قال ابن درباس: «شاهدت نسخة من كتاب (الإبانة) بخطه من أوله إلى آخره، وهي بيد شيخنا الحافظ العلامة أبي الحسن ابن المفضل المقدسي، ونسخت منها نسخة وقابلتها عليها بعد أن كتبتُ نسخة أخرى مما وجدته في كتاب الإمام نصر المقدسي ببيت المقدس، ولقد عرضها بعض أصحابنا على عظيم من عظماء الجهمية المنتمين إلى أبي الحسن الأشعري ببيت المقدس، فأنكرها وجحدها وقال: ما سمعنا بها قط ولا هي من تصنيفه، واجتهد آخرُ في إعمال رويته ليزيل الشبهة بفطنته، فقال بعد تحريك لحيته: لعله ألفها لما كان حشويًا».

قال ابن درباس: «فما دَريتُ من أي أمريه أعجب!، أمن جهله بالكتاب مع شهرته وكثرة مَن ذكره في تصانيفه من العلماء، أو من جهله بحال شيخه الذي يفتري عليه بانتمائه إليه، واشتهاره بين الأمة، عالمها وجاهلها؟!.. فإذا كانوا بحال مَن ينتمون إليه بهذه المثابة، فكيف يكونون بحال السلف الماضين وأئمة الدين من الصحابة والتابعين وأعلام الفقهاء والمحدثين، وهم لا يلوون على كتبهم ولا ينظرون في آثارهم، وهم والله بذلك أجهل وأجهل؟!».

٦- والحافظ ابن عساكر ت٥٧١، قال في كتابه (تبيين كذب المفتري) ص١٥٢ ما نصه: «إذا كان أبو الحسن- كما ذكرنا عنه من حُسن الاعتقاد- مستصْوَبَ المذهب عند أهل المعرفة بالعلم والانتقاد، يوافقه في أكثر ما يذهب إليه أكابر العباد، ولا يقدح في معتقده غير أهل الجهل والعناد، فلا بد أن نحكي عنه معتقده على وجهه بالأمانة، ونجتنب أن نزيد فيه أو نُنقص منه تركًا للخيانة، لتعلمَ حقيقة حاله في صحة عقيدته في أصول الديانة، فاسمع ما ذكره في أول كتابه الذي سماه بـ (الإبانة)، فإنه قال:

الحمد لله الواحد الأحد العزيز المتفرد بالتوحيد...»، ثم استمر ابن عساكر في إيراد الكلام على نصه وفصه من أوله إلى باب: (الكلام في إثبات الرؤية لله بالأبصار في الآخرة)، حرفًا حرفًا كما شرط.. ثم قال عقيب ذلك: «فتأملوا هذا الاعتقاد، ما أوضحَه وأبينَه!، واعترفوا بفضل هذا الإمام العادل الذي شرحه وبينه، وانظروا إلى سهولة لفظه، فما أفصحه وأحسنه!، وكونوا ممن قال الله فيهم: «ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ» (الزمر: ١٨)، وبيِّنوا فضل أبي الحسن واعرفوا إنصافه، واسمعوا وصفه لأحمد ابن حنبل بالفضل واعترافه، لتعلموا أنهما كانا في الاعتقاد متفقين، وفي أصول الدين ومذهب السنة غير مفترقين».

وقال في ص١٢٨ من التبيين: «وتصانيف أبي الحسن بين أهل العلم مشهورة معروفة، وبالإجادة والإصابة للتحقيق عند المحققين موصوفة، ومن وقف على كتابه المسمى بـ (الإبانة) عرف موضعه من العلم والديانة».

ولاحظ معي تواريخ هؤلاء الأئمة الأعلام القريبة العهد بوفاة الأشعري ت٣٢٤، والدالة على أنهم كانوا أقرب زمنًا للأشعري، وأعرف منا بحاله وبما كان منه وبما جرى له، وبما صح نسبته إليه وما تخلى عنه وتبرأ منه.. وتأمل بعدُ، تعاقب الأئمة على صحة نسبة الإبانة لأبي الحسن على مر العصور والدهور.

٧- فممن ذكر أن (الإبانة) من تأليف أبي الحسن الأشعري: أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى بن درباس الشافعي ت٦٢٢، قال في رسالته (الذب عن أبي الحسن الأشعري): «اعلموا معشر الإخوان أن كتاب (الإبانة) الذي ألَّفه الإمام الأشعري، هو الذي استقر عليه أمره فيما كان يعتقده، وبه كان يدين الله بعد رجوعه من الاعتزال بمَنِّ الله ولطفه، وكل مقالة تنسب إليه الآن مما يخالف ما فيه، قد رجع عنها وتبرأ إلى الله منها".

يقول ابن درباس: «قد ذكر (الإبانة) واعتمد عليها وأثبتها لأبي الحسن الأشعري، وأثنى عليه بما ذكره فيها وبرأه من كل بدعة نُسبت إليه، ونقل منها إلى تصنيفه: جماعةٌ من الأئمة الأعلام من فقهاء الإسلام وأئمة القراء وحفاظ الحديث وغيرهم».. وذكر ابن درباس طائفة ممن سبق ذكرهم، وزاد عليهم:

٨- الحافظ أبا العباس أحمد بن ثابت الطُرْقي ت٥٢١. قال: «رأيت هؤلاء الجهمية ينتمون في

نفي العرش وتأويل الاستواء إلى أبي الحسن، وما هذا بأول باطل ادعوه وكذب تعاطوه، فقد قرأت في كتابه الموسوم بـ (الإبانة) أدلة من جملة ما ذكرته، على إثبات الاستواء»، ثم قال: «ومن حلفهم جميعًا قولهم: (لا، والذي احتجب بسبع سماوات)، هذا آخر ما حكاه، وهو في (الإبانة) كما ذكره».

٢- طرفًا من شهادات أئمة أهل السنة فيما بعد القرن السابع الهجري

٩- وممن ذكر (الإبانة) ونسبها إلى أبي الحسن: ابن تيمية ت٧٢٨، قال في الحموية ص٧٠: «قال أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي أسماه (الإبانة)، وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنفه وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه، فقال: (فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة)».. وذكر ما في أول كتاب (الإبانة) بحروفه.

وقال في الفتاوى الكبرى ٥/ ٣٣٤ حاكيًا ما جرى له مع أهل نيسابور: "وأما أهل بغداد فقد كانت الأشعرية منتسبة إلى الإمام أحمد وسائر أئمة المساجد كما ذكره الإمام الأشعري في كتاب (الإبانة)، وهذا هو الذي اعتمد عليه ابن عساكر في وصف اعتقاد الأشعري".. وكان ابن تيمية قد نقل عن بعض أئمة العلم نتفًا من كتاب (الإبانة) في (الفتاوى الكبرى) ٥/ ٤٩، ١١٢، ٢٨٧، ٣٤١ وغيرها.. كما فعل الشيء ذاته في عديد من كتبه من غير ما ذكرنا.

١٠، ١١- والحافظ الذهبي (ت٧٤٨)، والإمام النووي (ت٦٧٦)، يقول الذهبي في كتابه (العلو للعلي الغفار) ص١٦٠: «وقال الأشعري في كتاب (الإبانة) له، في باب الاستواء: فإن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل: نقول: إن الله مستو على عرشه كما قال: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» (طه: ٥)، إلى آخر ما في الإبانة».. ثم قال: «وكتاب (الإبانة) من أشهر تصانيف أبي الحسن الأشعري، شهره الحافظ ابن عساكر، واعتمد عليه ونسخه بخطه الإمام مُحيي الدين النووي».

١٢- وممن عزاها إلى أبي الحسن: ابن القيم (ت٧٥١)، قال في كتابه (اجتماع الجيوش) ص١١٢: «قال شيخ الإسلام ابن تيمية - يعني: في الموافقة ٢/ ١١-: ولما رجع الأشعري عن مذهب المعتزلة، سلك طريق أهل السنة والحديث، وانتسب إلى الإمام أحمد كما قد ذكر ذلك في كتبه كلها، كـ(الإبانة والموجز والمقالات) وغيرها».

قال ابن القيم معلقًا: «وأبو الحسن الأشعري وأئمة أصحابه كالحسن الطبري وأبي عبد الله بن المجاهد والقاضي أبي بكر الباقلاني، متفقون على إثبات الصفات الخبرية التي ذكرت في القرآن كـ(الاستواء والوجه واليدين)، وعلى إبطال تأويلها وليس للأشعري في ذلك قولان أصلاً، ولم يذكر أحد عن الأشعري في ذلك قولين».

كما عزاه له في مختصر الصواعق المرسلة ص٢٨ فقال ما نصه: "وقد استدل السلف على إثبات العينين له تعالى بقوله: (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) (القمر: ١٤)، وممن صرح بذلك إثباتًا واستدلالاً: أبو الحسن في كتبه كلها فقال في كتاب (المقالات) و(الإبانة) و(والموجز): (وأن له عينين بلا كيف كما قال: (تجري بأعيننا)". وعقب ابن القيم يقول: "فهذا الأشعري وغيره، لم يفهموا من الأعين أعينًا كثيرة، ولا من الأيدي أيديًا كثيرة على شق واحد" ا.هـ.

١٣- والحافظ ابن كثير ت٧٧٤ في (طبقات الشافعية) في الطبقة الثالثة، فقد قال عن ثالث مراحل الأشعري التي مر بها: «والحالة الثالثة: إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه جريًا على منوال السلف، وهي طريقته في (الإبانة) التي صنفها آخرًا».

١٤- وابن فرحون المالكي ت٧٩٩ قال في كتاب (الديباج) ص١٩٣، ١٩٤: «ولأبي الحسن الأشعري كتب، منها: كتاب (اللمع الكبير) و(الصغير)، وكتاب (الإبانة)» ا.هـ

١٥- والعلامة مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي (ت١٠٣٣)، قال في كتابه (أقاويل الثقات) ص١٤٥ عن الأشعري: "وأطال الكلام في هذا وأمثاله في كتابه الذي سماه: (الإبانة)، وقد ذكر أصحاب الأشعري أنه آخر كتاب صنفه، وعليه يعتمدون في الذبِّ عنه عند من يطعن عليه" ا.هـ.

١٦- وابن العماد (ت١٠٩٨)، قال في الجزء الثاني من كتاب (شذرات الذهب) ٢/ ٣٠٣: «قال أبو الحسن الأشعري في كتابه: (الإبانة) وهو آخر كتاب صنفه، وعليه يعتمد أصحابه في الذب عنه عند من يطعن عليه»، ثم ذكر فصلاً من الإبانة.

١٧- والسيد مرتضى الزبيدي (ت١١٤٥)، قال في (إتحاف السادة المتقين) ٢/٢: «صنف أبو الحسن الأشعري بعد رجوعه من الاعتزال (الموجز) و(مقالات الإسلاميين)، وكتاب (الإبانة)».

١٨- وممن عزاه له من المعاصرين: محب الدين الخطيب، وذلك في تعليقه على (المنتقى) مختصر (منهاج السنة) لابن تيمية، قال بهامش ص٤١، ٤٣: «إن الأشعرية منسوبون إلى أبي الحسن الأشعري، وقد علمت أن أبا الحسن الأشعري كانت له ثلاثة أطوار:

أولها: انتماؤه إلى المعتزلة.

والثاني: خروجه عليهم ومعارضته لهم بأساليب متوسطة بين أساليبهم ومذهب السلف.

والطور الثالث: انتقاله إلى مذهب السلف وتأليفه في ذلك كتابه (الإبانة) وأمثاله، وقد أراد أن يلقى الله على ذلك».

١٩- والدكتورة فوقية حسين فقد ذكرت ص٧٤ الكثير عن كتاب (الإبانة) الذي حققته وكان موضوع رسالتها في الدكتوراه.

٢٠- ونختم من نسبوا الإبانة لأبي الحسن الأشعري، بالإمام العلامة الآلوسي مفتي بغداد ت١٢٧٠، لما يحمله كلامه من عتب على كل من اختلط عليه الأمر وقصد الحق وأخطأه.. قال في (روح المعاني) ١/ ١٠٣:

«والأشعري إمام أهل السنة، ذهب في النهاية إلى ما ذهبوا- يعني: أهل السنة من سلف المسلمين وأئمة الدين- إليه، وعوّل في (الإبانة) على ما عوّلوا عليه، فقد قال في أول كتاب (الإبانة) الذي هو آخر مصنفاته: (إن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرّفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون، قيل له: قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله وسنة النبي وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون وبما كان عليه أحمد بن حنبل قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون)».

يقول الآلوسي معلقًا على ما أوقعه أهل الكلام سلفًا وخلفًا على الأشعري من حيف عندما تجاهلوا عن قصد ما آل إليه أمر شيخهم: «والعجيب من علماء أعلام ومحققين فخام، كيف غفلوا عما قلناه، وناموا عما حققناه؟!، ولا أظنك في مرية منه وإن قل ناقلوه وكثر منكروه».

ومن البداهة بمكان: القول بأن اعتراف أولئك الفضلاء بعزو (الإبانة) للأشعري، هو: اعتراف ضمني برجوعه عن مذهبي الاعتزال والكُلَّابية اللذين ظل ردحًا من الزمن يدين بهما قبل رجوعه لمذهب أهل السنة وسلف الأمة، وأن هذا الأخير هو الذي مات عنه وكان آخر ما آل إليه أمره.

يقول الذهبي في (العلو) ص١٦٣: «كان أبو الحسن أولاً معتزليًا أخذ عن الجبائي، ثم نابذه ورد عليه وصار متكلمًا للسنة، ووافق أئمة الحديث، فلو انتهى أصحابنا المتكلمون إلى مقالة أبي الحسن ولزموها، لأحسنوا ولكنهم خاضوا كخوض حكماء الأوائل في الأشياء، ومشوا خلف المنطق فلا قوة إلا بالله».

والسؤال الآن: أيصح أخي القارئ الكريم المنصف، الطعن في شهادة كل هؤلاء الأفذاذ من أئمة أهل العلم، وكلهم يعزو كتاب (الإبانة) - كذا بصريح اسمه - للأشعري رحمه الله؟!، وماذا بقي لنا من ثقة في نقلة ديننا إذا لم يوثق في هؤلاء؟! وإذا كانت الأمور المتنازع عليها يُكتفى فيها شرعًا بشهادة رجلين عدول، فما يكون الحال بأولئك العشرين من أئمة الهدى؛ وثمة غيرهم من علماء الأمة وأرباب التراجم وأئمة أهل السنة والجماعة الكثير والكثير؟!

والحمد لله رب العالمين.

لا تيأسوا من رحمة الله

إعداد د. فيصل بن جميل غزاوي
خطيب المسجد الحرام

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا وآله وأصحابه ومن والاه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أيها المسلمون: مما يجب ألاَّ يغيب عن كل مسلم أنَّ الشيطان عدوٌّ لا يفتر، ولا يُقصِّر عن محاربة العباد، قال سبحانه: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) (فاطر: ٦)، فهُوَ لا يزال يعادينا بكل ما يستطيع، فعلينا أن نستفرغ الوسعَ في محاربته، ونحرز أنفسنا من كيده بملازمة ذكر الله؛ ولا نكون ممَّن قال الله فيهم: (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (المجادلة: ١٩).

ومن المسائل الدقيقة التي قد تَخفَى على كثير من الناس، وتُعدُ من مكايد الشيطان الخبيثة ومكره الكُبار: ألاَّ يكتفي بإيقاع العبد في المحرَّمات، بل يُوقعُه أيضًا في ترك الواجبات؛ إذ قد يُصاحب وقوع العبد في المعصية قنوطٌ من التوبة، وشعورٌ بالعجز أن ينفكَّ عن حاله؛ فيدفعه ذلك إلى ارتكاب جميع المعاصي، ويكون معتقدًا أنه مادام مُسرفا على نفسه بالعصيان فلا توبة له، ويُسوِّغ لنفسه أن يتوقَّف عن أداء ما افترض الله عليه وأوجب؛ بحُجَّة أنه لا يصلح للعاصي مثله أن يصلي ويصوم، وينصح ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويفعل الخير، فما أعظمَ تلبيسَ إبليس عليه؛ إذ سوَّل له أن يقطع صلتَه بدينه وما يجب عليه!

وهذا حال مَنْ يَغفُل عمَّا ينبغي للمذنب أن يعمل، من التوبة والاستغفار والفزع إلى الصلاة، كما أرشدنا إليه، قال تعالى: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ) (هُود: ١١٤)، وقال صلى الله عليه وسلم: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّه بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّه، فَيَغْفِرُ لَهم".

فيا عبدَ الله: متى ظَفرَ الشيطانُ منك بخطيئة وأوقعكَ في زلة فاتَّبع ما أرشدَكَ إليه نبيُّك صلى الله عليه وسلم بقوله: "وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُها"، وإن قدِّر أن عُدتَ للذنب بعد التوبة؛ فعليكَ أن تعود مرة أخرى لهذا الدواء الناجع، وتحذر أن يغلبكَ الشيطانُ مرتين: مرةً بإيقاعكَ في الذنب، وأخرى بتركِكَ الطاعةَ، وتحرص أن تصنعَ لكَ مسارًا ثابتًا للطاعة، لا يتأثر بوقوعكَ في الذنب، وارتكابِكَ المعصيةَ، ومهما غلبتْكَ نفسُكَ فيجب ألاَّ تنقطع عن ثوابت العمل

اليومية: القرآن، والصلاة، والذكر، والدعاء، التي هي زادك الإيماني، وحصنك الحصين؛ فمثلاً إذا كنت ممن يحرص على صلاة الجماعة، ولك ورد من القرآن والذكر؛ ووقعت في ذنب من الذنوب، فلا يحملنك ذلك على ترك شيء من الأعمال الصالحة التي اعتدت عليها، واحذر أن تتحول من حال سيء إلى حال أسوأ؛ فلا تنتقل من حال الاستتار بالمعصية إلى حال المجاهرة والعلانية بها، ولا تنتقل من حال الذنب مع عدم الإصرار، إلى حال الذنب مع الإصرار، ولا تنتقل من حال الاسترسال في الصغائر إلى حال الوقوع في كبيرة، ولا تنتقل من حال الوقوع في كبيرة إلى حال الذي يُسوّغ لنفسه فعل المعاصي ولا يبالي أيّ محارم الله انتهك، عياذًا بالله.

فيا مخطئًا وكلنا ذوو خطأ؛ لا تكن كحال من كبّله الشيطان، ومنعه من الخير والإحسان، وحجبته معاصيه أن يُصلح نفسه، ويتلافى نقصه؛ فإنّ من الناس مَن إذا نُصح في ترك شيء من المعاصي امتنع، ولم يستجب للنصيحة؛ بحجة أنّ لديه من كبائر العصيان ما لا يعلمه هذا الناصح، وأنّ الأمر ليس متوقفًا على هذه المخالفة وحسب، وهذا خطأ؛ فكل ذنب له توبة تخصّه، ولا تتوقف التوبة من ذنب على التوبة من بقيّة الذنوب، كما لا يتعلق أحد الذنبين بالآخر. والواجب على العاقل ألاّ يستجيب لمكر الشيطان، وألاّ ييأس من روح الكريم المنّان؛ عباد الله: الشيطان عدوٌّ مخادعٌ، يحرص بعد تكرار العبد الذنب، وإسرافه على نفسه بالمعاصي، أن يقع في كبيرة اليأس من رحمة الله، وإساءة الظنّ بربه، التي هي أكبر من ذنبه أصلاً، ومن أجل دفع هذه المفسدة العظيمة نُهي عن تقنيط الناس من رحمة الله، وتيئيس أهل الإجرام والآثام من توبة الله، وقبُح بالطائع المستقيم أن يُعيّر أحدًا بزيغ؛ ففي الحديث: "أنّ رَجُلاً قال: والله لا يغفرُ الله لفلان، وإنّ الله تعالى قال: مَنْ ذا الذي يتألى عليّ أنْ لا أغفرَ لفلانٍ، فإنّي قدْ غفرتُ لفلان، وأحبطتُ عملكَ".

إنّه مهما طال بُعدُ المرء عن ربّه فله أن يتوب، ما دام في زمن المهلة؛ فقد "أتى رَسُولَ الله صَلَّى الله عليهِ وسلّمَ شيخٌ كبيرٌ هرمٌ فقال: أرأيتَ رجُلاً عَمِلَ الذُّنوبَ كلّها، فلمْ يترُكْ منْها شيئًا، فهلْ لهُ منْ توْبةٍ؟ قال: "فهلْ أسلمْتَ؟" قال: أمّا أنا فأشهدُ أنْ لا إلهَ إلّا الله، وحْدهُ لا شريكَ لهُ، وأنّكَ رسُولُ الله، قال: "نعمْ، تفعلُ الخيْراتِ، وتترُكُ السّيّئاتِ، فيجْعلُهُنّ الله لكَ خيْراتٍ كلّهُنّ"، قال: وغدراتي وفجراتي؟ قال: "نعمْ" قال: الله أكبرُ، فما زال يُكبّرُ حتّى توارى".

عباد الله: إنّ فضل الله واسعٌ، لا تقتحمه العبارة، ولا تجسُر إليه الإشارة، فلا يأس من رحمة الله، بل كلّما وقعَت من العبد زلة أحدث لها توبة، مُتذكّرًا على الدوام قول الملك العلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢)، ففيه تأنيسٌ لقلوب المتحرّجين من مُعاودة التوبة بعد الوقوع في ذنب ثان؛ فمَن عرَف عظيم عفو الله، وأنّ رحمته أوسعُ من ذنوبه، لم يقنط من روحه، ولم يتوقف عن تجديد توبته.

إخوة الإسلام: إنّ من الرسائل التي ينبغي أن تصل إلى كل مسلم ومسلمة، وتبلغ كل مُلازم للمعصية: أنّ الإنسان مفطورٌ على الفطرة السوية ومحبّة الخير، وقبوله وإيثاره، وكراهية الشرّ ودفعه ورفضه، فعلى كل عاص لله أنْ يُجاهد نفسه ويستدعي ما لديه من صفات الخير فيُقوّيها ويُنمّيها، فكلّما قويت تضاءلت في نفسه نوازعُ الشرّ، وضاقت مسالكُ المعصية، وسُدّت منافذ الشيطان، كما عليه ألاّ يجعل ما ارتكب من العصيان سدًّا منيعًا بينه وبين التوبة والغفران، وليَعلم أنّه لا يضيق على المذنبين ما وسعهم من رحمة أرحم الراحمين، وأن أيّ ذنب مهما كان كبيرًا لا يمنع المرء من محاولة العودة عنه ليكون من التائبين، فذاك الرجل الذي قتل مائة نفس، رغم ما ارتكب من كبائر الذنوب، لم ييأس من حاله، وخرج من أرضه تائبًا، مُقبلاً بقلبه إلى الله -عزّ وجل-، فتوفاه الله وهو في طريقه إلى الأرض التي أراد أن يعبُد الله فيها، فأدركته رحمة الله، وقبضته ملائكة الرحمة.

عباد الله: إذا فتح الله على العبد الموحد بابًا من الخير فعليه أن يلزمه، حتى لو كان مقصرًا في طاعة الله؛ فممّا قصّه النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- على أصحابه: "أنّ رجلاً لم يعمل خيرًا قطّ، وكان يُداين الناس، فيقول لرسوله: خُذ ما تيسّر، واترك ما عسُر وتجاوز، لعلّ الله يتجاوز عنا. فلمّا هلك قال الله له: هل عملت خيرًا قطّ؟ قال: لا، إلاّ أنه كان لي غلامٌ، وكنتُ أداين الناس،

فإذا بعثته يتقاضى قلتُ له: خُذْ ما تيسَّر، واترُكْ ما عَسُر، وتجاوَزْ، لعلَّ الله يتجاوز عنَّا. قال الله تعالى: قد تجاوزْتُ عنْك".

كما أن علينا أن نستثمر جوانب الفطرة النَّقِيَّة التي يُولد كلَ إنسان مجبولاً عليها؛ فكلُ مولودٍ يُولد على الفطرة، ومادام أن بذرة الخير مهما ضَمَرَتْ تبقى موجودةً في العبد، وإن كان غارقًا في الملذات والشهوات والشرور، ومنغمسًا فيها؛ فعلى المربينَ والمصلحينَ أن يعملوا على تقوية الوازع الدَّيني في الناس، ويَستثمروا الخيرَ الكامنَ في نفوسهم، ويتعهدوا بالعناية والرعاية ما لدى العُصاة من بقية صلاح أو مروءة، كما يتعهَّد الإنسانُ الزرعَ الأخضرَ الصغيرَ لينموَ ويكْبَرَ، ويقضيَ على ما حوله من شجر خبيث.

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: جاء رَجُلٌ إلَى النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم-، فقَالَ: إنَّ فُلانًا يُصلِّي باللَّيل، فإذَا أصْبحَ سَرقَ!! قال: "إنَّهُ سَينْهاهُ مَا تَقُولُ". وعنه صلَّى الله أنه أتيَ يومًا برَجُلٍ فجُلِدَ في شُرب الخمر، فقال رجل منَ القوم: اللَّهمَّ الْعَنْهُ، مَا أكثَر ما يُؤتى به؟ فقال النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم-: "لا تَلعنُوه، فوالله ما علمتُ إلَّا أنَّه يحبُّ الله ورسوله". وفي رواية قال رجل: ما له؟! أخزاه الله! فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا تكونوا عونَ الشَّيطان على أخيكم".

كما أن العبد العاصي قد يُدركه الله بلُطفه فتأتيه موعظةٌ تكون لقَلبه موقظةَ، وقد تُوجِّه طاقتَه ومواهبَه نحوَ الخير، فيُنتج نتاجًا طيِّبًا كريمًا، فعَن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- أنه مرَّ ذاتَ يوم في موضع من نواحي الكوفة، فإذا فتيانٌ فُسَّاقٌ قد اجتمعوا يشربون، وفيهم مُغَنٍّ يقال له "زاذان"، يضرب ويغني، وكان له صوتٌ حسنٌ، فقال له ابن مسعود: ما أحسَنَ هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله! فأثَّر ذلك الكلامُ في نفس "زاذان"، وغيَّر مسارَ حياته فتاب، وترقَّى في مراتب الإحسان، واستدرَك ما فاته حتى أصبح بعد توبته إمامًا مُحدِّثًا، ووُصِفَ بأنه أحدُ العلماء الكبار، -رحمه الله-.

على المسلم أن يثق في سعة عفو الله ورحمته

عبادَ الله: اعلموا -رحكم الله- أن ممَّا يَدفعُنا إلى التوبة استشعارَنا أنَّ الله كتَبَ على نفسه الرحمةَ، ووَسعَ الخلائقَ عفوُه ومغفرته، وأنَّ رحمتَه سبقَت غضبَه، وبابُ التوبة مفتوحٌ لديه، منذ خلَق السماوات والأرض إلى آخر الزمان، وأنَّ الله -تعالى- يريد منَّا أن نتوب ونُهدى، ويريد الشيطانُ أن نَضلَّ ونشقى؛ ففي الحديث: "إن الشيطان قال: وعزَّتك يا رب! لا أبرحُ أغوي عبادَك، ما دامت أرواحُهم في أجسادهم، فقال الربُّ -عز وجل-: وعزَّتي وجلالي لا أزالُ أغفرُ لهم ما استغفَرُوني".

فكن عبدَ الله مِنَ الشيطان على حذَر، واستعذْ بمَنْ خلَقَه وإليه فرَّ، فهو -سبحانه- على طرده عنك أقدرُ، فقد حُكي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه: ما تصنَع بالشيطان إذا سوَّل لكَ الخطايا؟ قال: أجاهدُه. قال: فإن عادَ؟ قال: أجاهدُه. قال: فإن عاد؟ قال: أجاهدُه. قال: هذا يَطول. أرأيتَ لو مررت بغنَم فنبَحَكَ كلبُها، ومنَعكَ من العبور ما تصنع؟ قال: أكابدُه وأردُّه جهدي. قال: هذا يطول عليك، ولَكن استعنَ بصاحب الغنم، يكفُه عنك.

الخطأ الكبير في استمراء الذنوب والتمادي فيها

إخوةَ الإسلام: ممَّا يُستفاد من قوله -عليه الصلاة والسلام-: "كلُ ابنِ آدمَ خطَّاءٌ، وخيرُ الخطَّائينَ التَّوَابونَ" أنه لا غرابةَ في وقوع المرء في الذنوب، لكنَّ الغرابةَ أن يستمرئَ المعاصيَ والعيوبَ، وأنْ يستمرَّ في طريق الغواية، ولا يسلك سبيلَ الهداية، وليس الخطرُ أن يُخطئَ العبدُ بعدَ استقامته، لكنَّ الخطر في عدم اليقظة التي تردُّه إلى الله بعد إساءته.

النصيحة بالتوبة النصوح

فيا أخا الإسلام: بادرْ بالتوبة، ولا تتردَد، ولا تُسوِّفْ، ولا تَبعُدْ عن ربِّكَ، ولا تَقطعْ صلتَكَ بمولاكَ، ولا تقل عن نفسك: ما في خير، ولا أصلح للتوبة؛ فهذا من مداخل الشيطان الخفية، وأحابيله الدنية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

شروط
(لا إله إلا الله)

إعداد الشيخ حسين إسماعيل الجمل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعدُ:

فقد تبيَّن لنا في مقال سابق أنَّ معنى «لا إله إلاَّ الله»، هو: لا معبود بحقٍّ إلاَّ الله وحده لا شريك له، فتضمَّنت هذه الكلمة العظيمة أنَّ ما سوى الله من سائر المعبودات ليس بإله حق، بل هو إله باطل، وأنَّ الإله الحق إنَّما هو الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: «ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ» (الحج: ٦٢) ونحوها من الآيات، وما صحَّ من الأحاديث الَّتي فيها بيان حقيقة هذه الكلمة من حيث مدلولها ومقتضاها، على أنَّها قد قُيِّدت بشروط وقيود ثقال، فشهادة أن لا إله إلا الله- لا تنفع قائلها في الآخرة ولا تقيه من عذاب الله إلا بشروط سبعة، فلا ينفع مجرَّد التلفُّظ بها إن لم يأتِ صاحبها بشروطها.

ولعظمة هذه الكلمة الَّتي هي رأس الإيمان وأساسه، وأعلى شُعَبه ومقامه، وحيثُ إنَّ البعض قد يفهم أن مُجرَّد النُّطق بها، أو النُّطق والإقرار بدون المعرفة بشروطها ظانًّا أن ذلك لا يُؤثر في تحقيقها، ومن أجل ذلك ذكر أهلُ العلم الشروط لابد من توفُّرها لصحة التوحيد، استقرأها العلماء من نصوص الكتاب والسُّنة، و هذه الشروط لا بد من اجتماعها، والمداومة عليها كي يختم للعبد بخاتمة حسنة؛ لأن الأعمال بالخواتيم. واليك بيانًا موجزًا لشروط كلمة التوحيد:

الشرط الأوَّل: العلم، أي: العلم المنافي للجهل بمعنى كلمة التوحيد نفيًا واثباتًا، قال الله عز وجل: «فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ» «محمد:١٩»، وقال تعالى: «إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ» «الزخرف:٨٦»، أي: بـ «لا إله إلاَّ الله»، «وَهُمْ يَعْلَمُونَ» «الزخرف:٨٦» بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم.

وهذا العلم الَّذي أمر الله به- وهو العلم بتوحيد الله- فرضُ عينٍ على كل إنسانٍ، لا يسقط عن أحد، كائنًا من كان، بل كلٌّ مضطرٌّ إلى ذلك، والطريق إلى العلم بأنَّه «لا إله إلاَّ هو» أمورٌ، أعظمها: هو تدبُّر هذا القرآن العظيم، والتأمُّل في آياته- فإنَّه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد، ويحصل به من تفاصيله وجمله ما لا يحصل في غيره.

وفي الصَّحيح عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّه لا إِلَهَ إلاَّ الله، دَخَلَ الجَنَّةَ» (أخرجه مسلم ٢٦).

وأمَّا النُّطق بها من غير معرفة لمعناها، ولا يقينٍ، ولا عَملٍ بما تقتضيه من البراءة من الشرك، وإخلاص القول والعمل- قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح- فغيرُ نافع بالإجماع.

الشرط الثاني: اليقين، أي: اليقين المنافي للشكّ بأن يكون قائل كلمة التوحيد مستيقنًا بمدلول هذه الكلمة يقينًا جازمًا، غير شاكٍّ في مدلولها، فإنّ الإيمان لا يُغني فيه إلاّ علم اليقين، لا علم الظنّ، فكيف إذا دخله الشكّ!

وفي الصّحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلاّ اللّه، وَأَنّي رَسُولُ اللّه، لا يَلْقَى اللّه بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إلاّ دَخَلَ الْجَنَّةَ» (أخرجه مسلم ٢٧)، فاشترط صلى الله عليه وسلم في دخول قائلها الجنّة أن يكون مستيقنًا بها قلبه، غير شاكٍّ فيها.

الشرط الثالث: القبول المنافي للرَّدِّ، فلا بد من قبول هذه الكلمة بالقلب واللسان، ولا يردُّها كما ردَّها كفار قريش عنادًا واستكبارًا، ولم يقبلوها، قال الله تعالى: «إِنَّهُمْ كَانُوٓا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ» «الصافات:٣٥».

الشرط الرابع: الانقياد، وهو الاستسلام والإذعان، وعدم الترك لشيءٍ من شروط «لا إله إلاّ اللّه»، فينقاد بجوارحه بفعل ما دلّت عليه هذه الكلمة من عبادة الله وحده، قال الله تعالى: «وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ» «لقمان:٢٢»، ومعنى «ومن يسلم وجهه»: ينقاد. ومعنى: «وهو محسن»، أي: موحّد، وقال الله عز وجل: «وَأَنِيبُوٓا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُۥ» «الزمر:٥٤»، ومعنى: «وأسلموا له»: انقادوا له.

الشرط الخامس: الصّدق فيها المنافي للكذب، وهو أن يقولها صدقًا من قلبه يواطئ قلبه لسانه. وفي (الصّحيحين)، عن معاذ بن جبل، عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاّ اللّه، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللّه، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلاّ حَرَّمَهُ اللّه عَلَى النّارِ» (أخرجه البخاري ١٢٨، ومسلم ٣٢)، فاشترط في إنجاء مَنْ قال هذه الكلمة من النّار أن يقولها صدقًا من قلبه، فلا ينفعه مجرّد اللّفظ بدون مواطأة القلب(معارج القبول بشرح سُلّم الوصول ٢/٤٢٢).

الشرط السادس: الإخلاص المنافي للشّرك بتصفية العمل بصالح النيّة عن جميع شوائب الشّرك والرّياء، فيخلص العبد لربّه في قولها، ومن ثَمَّ في جميع العبادات، قال الله تعالى: «وَمَآ أُمِرُوٓا إِلَّا لِيَعْبُدُوا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ» «البينة:٥».

وفي الصّحيح عن أبي هريرة، عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم: «أَسْعَدُ النّاس بشَفَاعَتي يَوْمَ القِيامَة: مَنْ قَالَ (لا إلَه إلاّ اللّه)، خَالِصًا مِنْ قَلْبِه»، أوْ: «نَفْسِه» (أخرجه البخاري ٩٩).

الشرط السابع: المحبّة لهذه الكلمة، ولما اقتضته ودلّت عليه، وبُغض ما ناقض ذلك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيه، وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإيمَانِ: مَنْ كَانَ اللّه وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاّ لِلّه، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللّه مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ» (أخرجه البخاري ١٦، ومسلم ٤٣).

وزِيدَ في الشروط السبعة شرطٌ ثامنٌ: وهو البراءة ممّا يُعبد من دون الله، وهو أن يتبرّأ العبد من عبادة غير الله، ويعتقد أنّها معبوداتٌ باطلةٌ، كما قال تعالى: «قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ (١) لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ (٣) وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ» «الكافرون:١- ٦»، وقال الله تعالى: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ» «الزخرف:٢٦».فلا يكون العبد مُوحّدًا حتّى يتبرّأ ممّا يُعبد من دون الله تعالى.

الغنى غنى القلب والفقر فقر القلب

إعداد الشيخ صلاح عبد الخالق

الحمد لله على نعمة الإسلام، والصلاة والسلام على سيد الأنام.

وبعد: فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يُصحح بعض المفاهيم الخاطئة للناس؛ فعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال لي رسُول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا ذرٍّ، أترى كثرة المال هُو الغنى؟» قلتُ: نعم يا رسُول الله قال: «وترى قلة المال هُو الفقرُ؟» قلتُ: نعم يا رسُول الله. قال: «إنما الغنى غنى القلب، والفقرُ فقرُ القلب» صحيح ابن حبان (٦٨٥) صحيح الترغيب (٨٢٧).

وقال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «الغنى في القلب، والفقرُ في القلب، مَنْ كانَ الغنى في قلبه لا يضُرُّهُ، ما لقيَ منَ الدُّنيا، ومَنْ كانَ الفقرُ في قلبه، فلا يُغنيه ما أكثر له في الدُّنيا، وإنَّما يضُرُّ نفسهُ شُحُّها» المعجم الكبير للطبراني (١٦٤٣)، صحيح الجامع (٧٨١٦).

كثير من الناس يظنون أن كثير المال هو الغني، وقليل المال هو الفقير؛ وهذا خطأ، والصواب الغنى غنى القلب، والفقرُ فقرُ القلب. تلك حقيقة لا مرية فيها؛ فكم من غني عنده من المال ما يكفيه وولده، ولو عُمِّر ألف سنة؛ يخاطر بدينه وصحته، ويضحي بوقته يريد المزيد! وكم من فقير يرى أنه أغنى الناس؛ وهو لا يجد قوت غده! فالعلة في القلوب؛ رضى وجزعًا، واتساعًا وضيقًا، وليست في الفقر والغنى. (القناعة ومفهومها: ١/١١).

من صفات صاحب القلب الغني مثلا:

١- القناعة والرضا: ليسَ حقيقةُ الغنى كثرة المال؛ لأنَّ كثيرًا ممَّنْ وسَّع الله عليه في المال لا يقنَعُ بما أوتيَ فهُوَ يجْتهدُ في الازْدياد ولا يُبالي منْ أينَ يأتيه؛ فكأنهُ فقيرٌ لشدَّة حرْصه، وإنما حقيقةُ الغنى غنى النفْس، وهُو من استغْنى بما أوتيَ وقنع به ورضيَ ولمْ يحْرصْ على الازْدياد ولا ألحَّ في الطلب فكأنهُ غنيٌّ. (فتح الباري: ١١/٢٧٢).

٢- اللجوء إلى الله تعالى: إنَّما يَحْصُلُ غنى النَّفْس بغنَى القلب بأنْ يفتقرَ إلى ربَّه في جميع أمُوره؛ فيتحقق أنَّهُ المُعطي المانع فيرضى بقضائه ويشكرُهُ على نعمائه ويفزعُ إليه في كشف ضرَّائه فينشأ عن افتقار القلب لربه غنى نفسه عن غير ربه تعالى. (فتح الباري: ١١/٢٧٣).

٣- عزيز النفس: الغني غني القلب، فإذا استغنى الإنسان بما عند الله عما في أيدي الناس؛ أغناه الله عن الناس، وجعله عزيز النفس بعيداً عن السؤال. (شرح رياض الصالحين ١/١٩٦).

٤- الدنيا لا تشغله ولا تضره: قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كانَ الغنى في قلبه لا يضُرُّهُ ما لقيَ من الدُّنيا». والسبب لأنه تيقن بوعد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم في الرزق والأجل.

من صفات فقير القلب مثلا:

١- شديد الحرص على الدنيا؛ فقيرَ القلب

لحرصه فإنَّهُ يُورِّطُهُ في رذائل الأُمُورِ وخسائس الأفعال لدناءة همَّته وبُخله ويكثر مَنْ يذمُّه من النَّاس ويَصغُر قَدْرُه عندهُم فيكون أحقر مِنْ كُلِّ حقير وأذلَّ مِنْ كُلِّ ذليل، والمتصف بفقر النَّفس على الضد منه لكونه لا يقنع بما أعطي، بل هو أبدا في طلب الازدياد من أيِّ وجه أمكنه، ثمَّ إذا فاته المطلوب حزن وأسف فكأنَّه فقيرٌ من المال؛ لأنه لم يستغن بما أعطي فكأنَّه ليس بغنيٍّ وما أحسنَ قولَ القائل: (فتح الباري ١١/٢٧٢).

٢- دائم الجزع لأنه لا يشبع ولا يقنع: قال صلى الله عليه وسلم: «ومَنْ كان الفقرُ في قلبه، فلا يُغنيه ما أكثر له في الدُّنيا»؛ فقير القلب لا يشبع أبدًا مهما أوتي من مال ولو كان يملك الدنيا بما فيها. ودائم الشكوى والجزع؛ لأنه غير قانع بما قسم الله تعالى.

كيف يصبح قلبك غنيًا؟

عن طريق أمور منها مثلا:

١- تفريغ القلب لعبادة الله وحده: عَنْ أبي هُرَيْرَةَ عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، قال: «إنَّ الله تعالى يَقول: يَا ابْنَ آدَم تفرَّغْ لعبادَتي أمْلأْ صَدْرَكَ غنًى وأسُدَّ فَقْرَكَ، وإلا تَفْعَل ملأْتُ يَدَيْكَ شُغْلاً ولَمْ أسُدَّ فَقْرَكَ. سنن الترمذي (٢٤٦٦)، وصحيح الجامع (١٩١٤). صدرك أي قلبك: قال تعالى: «ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ» (الحج: ٤٦).

٢- اجعل الآخرة أكبر همِّك: عَنْ أنس بْن مالك، قال: قال رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كانت الآخِرةُ همَّهُ جعل الله غناهُ في قلبه وجمع له شملهُ، وأتتهُ الدُّنيا وهي راغمةٌ، ومَنْ كانت الدُّنيا همَّهُ جعل الله فقرهُ بيْنَ عينيْه، وفرَّق عليه شملهُ، ولم يأته من الدُّنيا إلا ما قُدِّر له» سنن الترمذي (٢٤٦٥) صحيح الجامع (٦٥١٠).

٣- كثرة ذكر الله تعالى: قال تعالى: «ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ» (الرعد: ٢٨)؛ تطمئن القُلوبُ بإحساسها بالصلة بالله والأنس بجواره، والأمن في جانبه وفي حماه، تطمئن من قلق الوحدة، وحيرة الطريق. بإدراك الحكمة في الخلق والمبدأ والمصير. وتطمئن بالشعور بالحماية من كل اعتداء ومن كل ضر ومن كل شر إلا بما يشاء، مع الرضى بالابتلاء والصبر على البلاء، وتطمئن برحمته في الهداية والرزق والستر في الدنيا والآخرة. وليس أشقى على وجه الأرض ممن يُحرمون طمأنينة الأنس إلى الله.

٤- دوام على صلاح قلبك مما يُصيبه: عن النُّعمان بْن بشير، قال: رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: ألا وإنَّ في الجسد مُضغةً إذا صلحتْ، صلح الجسدُ كله، وإذا فسدتْ، فسد الجسدُ كُلُّه، ألا وهي القلبُ». رواه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩).

فكما أن القلب من الناحية الجسمية هو العضو الرئيس في الجسد، ومصدر الحياة فيه؛ لارتباط حركة الدم به، فكذلك هو في نظر الإسلام مصدر صلاح الإنسان وفساده من الناحية الروحية والدينية، وهو الموجِّه لسلوك الإنسان وأعماله من الأقوال والأفعال؛ فمتى كان القلب سليماً من العقائد الخبيثة كالكفر والنفاق، والإلحاد، ومن الأمراض النفسية كالكبر والاستعلاء والحقد والحسد والكراهية وغيرها، عامراً بالإيمان والخوف من الله والحب في الله، صلحت أعمال الجوارح واستقام سلوك الإنسان دينيًا واجتماعيا، والعكس بالعكس، وهو معنى قوله: «إذا صلحت صلح الجسد كله» أي صلحت أعمال الجسد وسلوكه الظاهري. (منار القاري ١/١٤٣).

٥- الإكثار من الدعاء: عن شهْر بْن حوْشب، قال: قُلْتُ لأمِّ سلمة: يا أمَّ المؤمنين ما كان أكثر دُعاء رَسُول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان عندك؟ قالت: كان أكثر دُعائه: يا مُقلب القلوب ثبِّتْ قلبي على دينك». قالتْ: فقُلْتُ: يا رَسُول الله ما لأكثر دُعائك يا مُقلب القلوب ثبِّتْ قلبي على دينك؟ قال: «يا أمَّ سلمة إنَّهُ ليْس آدميٌّ إلا وقلْبُه بيْنَ أصْبُعيْن من أصابع الله، فمَنْ شاء أقام، ومَنْ شاء أزاغ»؛ فتلا مُعاذ: «ربَّنا لا تُزغْ قُلوبنا بعْد إذْ هديْتنا» (آل عمران: ٨). سنن الترمذي (٣٥٢٢)، صحيح الجامع (٣٠٨١).

نسأل الله الهدى والتقى والعفاف والغنى،
والحمد لله رب العالمين.

وقفة حساب

إعداد فضيلة الشيخ: محمد صفوت نور الدين رحمه الله

الحمد لله قسم الزمان قرونًا، وعقودًا، وسنوات، وأشهرًا، وأسابيع، وأيامًا، وليالي، وساعات، وقسم الساعات دقائق وثوان، وجعل للإنسان عمرًا خبأه، وجعل للإنسان أعمالا قدرها ويسرها، وكل عبد ينظر نتيجة عمله من زراعة أو تجارة أو صناعة، أو غير ذلك ؛ ويحصي ربحه أو خسارته ليستفيد من يومه إلى غده، ومن عام مضى إلى عام يستقبله، وإن العمر حلقات تَنتهي بالموت، وليس الموت عدمًا، إنما الموت انتقال من حياة العمل إلى حياة الحساب، ففي القبر سؤال وفيه نعيم، أو عذاب، ثم إن بعد الموت بعثًا وحشرًا، يكون فيه الوزن والحساب والصراط والميزان، ثم جنة أو نار.

فمن حسن وعيه استدرك على نفسه الخطأ، فقوَّمه، وعرف الصواب فالتزمه ؛ لذا وجب على العبد أن يقف مع نفسه وقفة حساب ؛ ليتوب من كل ذنب وقع فيه، حتى يقبل على ربه وقد عمل ما يرضيه، فينجيه من النار، ويدخله الجنة.

وإن لوقفة الحساب هذه معالم وضوابط، نريد أن نجمل بعضها لتكون هادية لمن أراد أن يستهدي، ومرشدة لمن أراد أن يسترشد، فنقول مستعينين بالله تعالى:

أولاً: إن الحساب الذي يحاسب به العبد والميزان الذي يوزن به العمل والصحيفة التي يأخذها يوم القيامة ويُقال له: (اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا)، إنما قد كتبت فيها الأعمال، كما قال تعالى: (مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا) (الكهف: ٤٩).

وكما قال سبحانه: (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) (البينة: ٧، ٨). وهذه الأعمال توضع في الميزان ويتأثر بها العبد ؛ لذا قال سبحانه وتعالى: (فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ. فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ. وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ. فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ. نَارٌ حَامِيَةٌ) (القارعة: ٧- ١١)، فقد يخف الميزان بسبب ذرة من العمل تنقص لتركه مشروعًا، أو بسبب سيئة تقع لارتكابه ممنوعًا، أو يثقل بسبب ذرة من العمل المشروع بفعله، هذا يعني أن العبد لا يستهين بصالح العمل، فيترك منه شيء، ولا يسيء العمل فيقترف منه شيئًا، فرب العزة سبحانه يقول: (مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) (ق: ١٨)، ويقول سبحانه: (فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا) (الإسراء: ٢٣)، فحذر من أصغر الكلمات، وفي الحديث: (إن العبد ليتكلم بالكلمة في مرضاة الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت، فتبلغ به إلى الجنة، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط

الله لا يلقي لها بالاً ما يظن أن تبلغ به ما بلغت، فتبلغ به إلى النار).

وفي الحديث عن جابر عند مسلم مرفوعًا: (إن الشيطان أيس أن يُعبد في أرضكم هذه، ولكنه رضي بما تحقرون). وأمثلة تلك الأعمال الصالحة كثيرة، وكذلك الأعمال المهلكة، فامرأة تدخل النار في هرة ؛ لأنها حبستها حتى ماتت، وأخرى بغي تدخل الجنة ؛ لأنها سقت كلبًا اشتد به العطش.

ثانيًا: الله مُطّلع على العباد جميعًا، وقد جعل معهم ملائكة يكتبون، فلا يتركونهم في حال من أحوالهم، إنما هم معهم، لذلك فإن العبد يخلو بنفسه ويسافر من بلده ومع ذلك الملائكة معه، فقيام الليل يكتبونه، وفلتات اللسان يقيدونها، وغدرات السر لا يفوتونها، ليسوا كالبشر الذين يراقبون أو يحاسبون يمكنك أن تراهم وتعرف أهواءهم وترصد وجودهم وغيابهم ؛ لذا فإنك تنتهز منهم غرة، وتبحث في نظامهم عن ثغره، وتنتظر منهم غفلة أو تحقق لهم ما يريدون من شهوة أو تغريهم بعطاء كل ذلك لتفلت من حسابهم. أما ملائكة رب العالمين فليسوا ذكورًا نغريهم بالنساء ونزوجهم إليهم ولا نساء نزوجهن من رجال عندنا، ولا يأكلون أو يشربون فنهدي إليهم طعامًا نستميلهم به، وهم معنا لا يتركوننا ساعة من ليل أو نهار.

ثالثا: إن القلم يوضع على العبد إذا بلغ الحلم، فلا يرفع عنه إلا في نوم أو جنون أو إغلاق، ويستمر ذلك حتى يموت وتكتب أعمال العبد في صفحة لا تستبدل، فإن تاب واسترجع وعاد فاستغفر ولم يصر على الذنب، فإن ربك يحب التوابين ويحب المتطهرين، والصفحة للعبد مثل الثوب الذي تصيبه الأوساخ يغسل، وكثيرًا ما يترك الوسخ قرحًا في الثوب، كلما زادت صار الثوب غير صالح لاستعماله فيستبدل، لكن الصفحة لا تستبدل، فكم من ذنب بقي في الصفحة أثره، وكم من توبة لم تقبل لوقوع الخلل في نفس التائب بإصرار أو عدم استجماع صدق وعزم.

رابعًا: ينبغي ألا ينسى المكلف أنه عبد مخلوق ؛ خلقه الله لعبادته، وأنه ملك لسيده ومولاه، والمملوك إن عمل لسيده ما أراده منه فقد قام بالواجب الذي عليه ولا يستحق عليه أجرًا، فإن عمل عند غير سيده فإن كان بإذن، فالذي يقبضه من الأجر هو ملك لسيده، وإن كان بغير إذنه فهو معصية ومخالفة يستحق عليها العقوبة، على هذا فإن العبد غير مستحق للأجر إذا عمل بما أمره به ربه، ومستحق للوزر إذا خالف أو قعد عن تنفيذ أمره. هذا في العبد المملوك لسيده يطعمه ويسقيه ولا أجر له على عمل يؤديه، ولكن لعبد مخلوق خلقه ربه سبحانه ورزقه وهو يرعاه.

فإذا علم العبد أن الله يأجره على الصالحات من الأعمال أيقن أن ذلك فضل من الله سبحانه وليس استحقاقًا منه لذلك الثواب، فيبقى نظره متعلقًا بفضل الله الذي حبب إليه الايمان وزينه في قلبه، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان.

فرؤية العمل باب المعصية وسبب جرأة العبد على ربه وترك طاعته، وعلاج ذلك أن يرى العبد فضل الله تعالى عليه من العمل، فالطائع مدين إلى ربه بالهداية والتوفيق فيلزمه لذلك أن يشكر ربه وأن يملأ القلب عرفانًا بفضله ونعمه أن جعله من المؤمنين ولم يجعله من الكافرين.

خامسًا: لربي عليّ منن عظيمة وأفضال جسيمة ؛ منها تلك الأعضاء التي وهبني إياها بغير سابق عطاء مني واستحقاق لي، وهو سبحانه خلقها لطاعته وعبادته: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إلا لِيَعْبُدُونِ. مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ. إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) (الذاريات: ٥٦- ٥٨).

وإن الله قد جعل عليها صدقات ففي الحديث: (يصبح على كل سلامى من الناس صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس). ففي كل يوم يمر وعلى كل عضو منه صدقة، فكم من نعمة لله على عبده، وكم من يوم مر من عمره، فكم وفى من الصدقات، وكم بقي عليه من الديون، وكل ذلك داخل في الميزان.

هذه لمحة يسيرة من وقفة الحساب التي ينبغي للعبد أن يقوم بها مع نفسه.

والله من وراء القصد.

مقالات في معاني القراءات

إعداد **د. أسامة صابر**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد؛

فقد سبق في العدد الماضي الحديث عن بعض معاني القراءات الواردة في سورة البقرة، ونكمل في هذا العدد فنقول وبالله تعالى التوفيق:

تابع سورة البقرة

قوله تعالى: (وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٤٤ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ) (البقرة: ١٤٤-١٤٥).

قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو جعفر وروح بتاء الخطاب (تعملون) والباقون بياء الغيبة (يعملون).

وقوله تعالى: (وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٩ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ) (البقرة: ١٤٩-١٥٠).

قرأ أبو عمرو بالياء على الغيب والباقون بالتاء على الخطاب.

المعنى: القراءة على الخطاب للمؤمنين وعلى الغيب لليهود (الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٣١٨).

قوله تعالى: (وتصريف الرياح) (البقرة: ١٦٤).

القراءات: قرأ حمزة والكسائي وخلف بالإفراد (الريح)، والباقون بالجمع (الرياح).

المعنى: الجمع يدل على إتيان الريح من كل جانب؛ فهي باعتبار تعدد هبوبها رياح مختلفة، وقراءة الإفراد تدل على الجمع؛ لأنه اسم جنس (الكشف ١/٣٢١).

قوله تعالى: (وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ) (البقرة: ١٦٥).

القراءات: (ولو يرى) قرأ نافع وابن عامر ويعقوب بتاء الخطاب على أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، وفيه التنبيه لغيره، ويجوز أن يكون الخطاب للظالمين والتقدير: قل يا محمد للظالم: (لو ترى الذين ظلموا) والباقون بياء الغيبة، وفيه إسناد الفعل للظالمين؛ لأنهم لم يعلموا قدر ما يَصيرون إليه من العذاب، أو المعنى: لو رأى الذين كانوا يشركون في الدنيا عذاب الآخرة لعلموا حين يرونه أن القوة لله جميعًا.

(إذ يرون) قرأ ابن عامر بضم الياء؛ فلم يُضف الفعل إليهم كما قال تعالى: (كذلك يريهم الله)، والباقون بفتحها أضاف الفعل للظالمين كما قال: (وإذا رأى الذين ظلموا العذاب) (الكشف ١/٣٢٣، حجة القراءات لابن زنجلة ص٢٥).

قوله تعالى: (وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ) (البقرة: ١٨٥).

القراءات: قرأ شعبة ويعقوب بفتح الكاف وتشديد الميم (ولتكَمِّلوا)، والباقون بإسكان

الكاف وتخفيف الميم (ولتكملوا).

المعنى: قراءة التشديد تفيد تكرير فعل الصيام في الشهر إلى آخر عدته، وقراءة التخفيف على أن عقد شهر رمضان عقد واحد (الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص٤١).

قوله تعالى: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ) (البقرة: ٢١٠).

القراءات: قرأ أبو جعفر بخفض تاء (والملائكة)؛ أي في ظلل من الغمام وظلل من الملائكة، وقرأ الباقون بالرفع عطفًا على اسم الله تعالى كما قال تعالى (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) (الفجر:٢٢)، وقوله (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ) (الأنعام: ١٥٨) (لطائف الإشارات للقسطلاني ٣/١٧٢).

قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا) (البقرة: ٢١٩).

القراءات: (إثم كبير) قرأ حمزة والكسائي بالثاء (كثير)؛ لأن الخمر توقع في آثام عديدة من لغط وتخليط وسب وعداوة وخيانة وتفريط في الفرائض؛ فوجب أن توصف بالكثرة، والباقون بالباء (كبير) على معنى عظيم كما في قوله (فقد افترى إثمًا عظيمًا)، والخمر من كبائر الذنوب، والتعبير بالكثرة أعم فتقول كل كثير كبير، ولا تقول كل كبير كثير (الكشف ١/٣٤٠).

قوله تعالى: (فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ) (البقرة: ٢٢٢).

القراءات: (يطهرن) قرأ شعبة وحمزة والكسائي وخلف بفتح الطاء والهاء مع التشديد فيهما (يَطَّهَّرن)، والباقون بسكون الطاء وضم الهاء مخففة (يَطْهُرْن).

المعنى: قراءة التخفيف (يَطْهُرن) على معنى انقطاع الدم، والكلام متصل بما بعده (فإذا تطهرن) أي اغتسلن بالماء فلا بد من شرطين لجواز الوطء وهما انقطاع الدم والتطهير بالماء، وقراءة التشديد (يَطَّهَّرن) تعني التطهير بالماء وهي محمولة على التشديد في قوله (فإذا تطهرن)، وأفادت رفع الوهم الذي قد يفهم من قراءة التخفيف وهو جواز إتيان الحائض إذا ارتفع عنها الدم وإن لم تطهر بالماء (الكشف

(٣٤٢/١).

(تمسوهن) في الموضعين: قرأ حمزة والكسائي وخلف بضم التاء، وإثبات ألف بعد الميم؛ فيمد لذلك مدًا طويلاً (تُمَآسوهن)، والباقون بفتح التاء من غير ألف ولا مد.

المعنى: قراءة (تُمَآسوهن) من المماساة، وهي من باب المفاعلة؛ لأن كلاً من الزوجين يمس الآخر بالوطء أو المباشرة، وقد أجمعوا على المد في قوله تعالى: (من قبل أن يتماسا)، وقراءة (تمسوهن) من باب (فَعَلَ) لا (فَاعَلَ)، والمس هو الوطء وهو من الرجل وحده، وقد أجمعوا على ترك المد في (ولم يمسسني بشر) (الكشف ٣٤٥/١).

قوله تعالى: (وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا) (البقرة: ٢٥٩).

القراءات: قرأ ابن عامر والكوفيون بالزاي (ننشزها)، والباقون بالراء (ننشرها).

المعنى: (ننشزها) على معنى الرفع من (النشز)، وهي الأرض المرتفعة، ونشوز المرأة: ارتفاعها عن موافقة زوجها، والمعنى: وانظر إلى العظام كيف نرفع بعضها على بعض في التركيب للإحياء، وقراءة (ننشرها) من النشور وهو الإحياء، والمعنى: وانظر إلى عظام حمارك التي ابيضت من مرور الزمان عليها كيف نحييها (الكشف ٣٥٦/١).

قوله تعالى: (قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (البقرة: ٢٥٩).

القراءات: (قال أعلم) قرأ حمزة والكسائي بهمزة وصل مع سكون الميم على الأمر، والباقون بهمزة قطع مفتوحة مع رفع الميم.

المعنى: القراءة بهمزة القطع (قال أعلمُ) أخبر عن نفسه عندما عاين قدرة الله في إحياء الموتى؛ فتيقن ذلك بالمشاهدة، فأقر أنه يعلم أن الله على كل شيء قدير، والقراءة بهمزة الوصل (اعلمْ) أمر من الله عز وجل له بلزوم هذا العلم لما تيقنه وعاينه (الكشف ٣٥٨/١).

قوله تعالى: (قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ) (البقرة: ٢٦٠).

القراءات: قرأ حمزة وخلف وأبو جعفر ورويس بكسر الصاد ويلزمه ترقيق الراء، والباقون بضم الصاد ويلزمه تفخيم الراء.

المعنى: (فصِرهن) بكسر الصاد أي قطعهن ومزقهن وفي الكلام تقديم وتأخير والتقدير: فخذ أربعة من الطير إليك فصرهن، والقراءة بضم الصاد (فصُرهن) أي وجههن إليك، واجمعهن، والعرب تقول (صِر وجهك إلي) أي أقبل عليّ واجعل وجهك إلي. وعلى هذه القراءة يكون في الكلام حذف والتقدير: فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم قطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزءًا، وقيل هما لغتان (حجة القراءات لابن زنجلة ص٣٩ ومعاني القراءات للأزهري ص٨٨).

قوله تعالى: (فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) (البقرة: ٢٧٩).

القراءات: قرأ شعبة وحمزة بفتح الهمزة وألف بعدها وكسر الذال (فآذِنوا)، والباقون بإسكان الهمزة وفتح الذال (فأْذَنوا).

المعنى: القراءة بالقصر (فأْذَنوا) أمر من الله للمخاطبين أن يتركوا الربا وأن يُعلموا أنفسهم بحرب من الله ورسوله إن لم يتركوا الربا، والقراءة بالمد أعمّ؛ فهي أمر من الله للمخاطبين أن يعلموا أنفسهم وغيرهم ممن هو على مثل حالهم في المقام على الربا (معاني القراءات للأزهري ص٩٢).

قوله تعالى: (كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ) (البقرة: ٢٨٥).

القراءات: قرأ حمزة والكسائي وخلف بالتوحيد (وكتابه)، والباقون بالجمع (وكتبه).

المعنى: قراءة (وكتابه) تعني القرآن، أو يكون اسم جنس فيعم جميع الكتب المُنزّلة فيتحد مع قراءة الجمع. (حجة القراءات لابن زنجلة ص٤٤).

قوله تعالى: (لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ) (البقرة: ٢٨٥).

القراءات: قرأ يعقوب بالياء (لا يفرق) والمعنى أن من آمن بالله فإنه لا يفرق بين أحد من رسله، والباقون بالنون (لا نفرق) على التكلم (معاني القراءات للأزهري ص٩٦).

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام 1345هـ - 1926م

ومن أهدافها

- الدعوة إلى التوحيد الخالص من جميع الشوائب، وإلى حب الله حبًا صحيحًا صادقًا يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبًا صادقًا يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوةً حسنة.

- الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين - القرآن الكريم، والسنة الصحيحة - ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

- الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخلقًا.

- الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل مشرّع غيره - في أي شأن من شئون الحياة - معتدٍ عليه سبحانه، منازع إياه في حقوقه.

مفاجأة

التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٩ مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة . عابدين ت: ٢٩٣٦٥١٧-٢٩١٥٤٥٦

سعر الكرتونة

١٠٠٠ جنيه مصري بدلا من ١٢٥٠

لأول ١٠٠ من المشترين

هدايا قيمة

يوجد مجلدات لسنوات مختلفة سعر المجلد الواحد ٢٥ جنيها بدلا من ٤٠ جنيها

للحصول على الكرتونة الاتصال على الأستاذ / ممدوح عبد الفتاح : مدير قسم الحسابات بالمجلة

01008618513